8me Année No. 380

Lundi - 14 - 10 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ فى مصر والسودان
٨٠ فى الأقطار العربية
١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠ فى العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

السنة الثامنة « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ رمضان سنة ١٣٥٩ — الموافق ١٤ أكتوبر سنة ١٩٤٠ » العـــدد ٣٨٠

الفهـــــــرس

صـفحة
١٠٦١ خواطر مهاجر ... ... : أحمد حسن الزيات ... ...
١٠٦٣ الحديث ذو شجون ... : الدكتور زكى مبارك ... ...
١٠٦٦ تطور اللغة وارتقاؤها ... : الدكتور على عبد الواحد وافى
١٠٦٩ القبر التائه ! ... ... : الأستاذ على الطنطاوى ...
١٠٧٢ إلى الدكتور زكى مبـــارك : الأستاذ محمود غنيم ... ...
١٠٧٣ سيجموند فرويد ... ... : الأستاذ صديق شيبوب ...
١٠٧٥ « ولز » فى كلمة موجزة ... : الأديب محمد جمال الدين أبو رية
١٠٧٦ التعليم الزراعى ... ... : ... ...
١٠٧٨ الهوى يغنى ... [قصيدة] : الأستاذ أنور العطـــار ...
١٠٧٨ الخـــلوة الأولى » : الأستاذ محمود الشرقاوى ...
١٠٧٩ لك روحى ... » : الأستاذ أحمـــد فتحى مرسى
١٠٨٠ قصة الفيتامين ... ... : الأستاذ عبداللطيف حسن الشامى
١٠٨٣ أدهم قال لى ... ... : الأستاذ عبـــد اللطيف النشار
١٠٨٣ اضطراب فى مقـــال ... : الأستاذ محمود أحمـــد وصيف
١٠٨٣ القراءات السبع ... ... : الأستاذ طه محمد الساكت ...
١٠٨٤ أخـــلاق القرآن ... ... : الأديب حسين محمد الأنصارى
١٠٨٤ ســـؤال ... ... : «سائل» ... ...
١٠٨٤ تعقيب ... ... : «ا.ب» ... ...
١٠٨٥ إلى علماء النحو فى جميع الأقطار : الأستاذ مصطفى محمـــد ابراهيم
١٠٨٦ جيوكندا ... [قصـــة] : الأستاذ محمد محمد مصطفى ...

خواطر مهــــاجر

— ٤ —

سار (موكب الرؤية) من (مركز البندر) فى صفين طويلين من الجنود المشاة تتقدمهم فرقة الموسيقى فى شتى آلاتها وشاراتها، وتتلوهم طوائف الصوفية فى مختلف هيئاتها وإشاراتها، وعشاق رمضان محتشدون على جوانب الطرق وفى طنوف المنازل يجتلون الموكب المهيب ووجوههم يشرق فيها السرور كأنما يستقبلون وافداً من الملأ الأعلى سيغمرهم بالسرور ويطهرهم بالنور ويزكيهم بالبركة. فلما أتم الموكب خطاه الوئيدة الموزونة تفرق، واجتمع الناس على شاطئ النيل يرتقبون بشرى المحكمة بطلعة الهلال الوليد! ولرمضان فى رأى الريفيين هلال غير أهلة الشهور، يولد من نور الجنة، ثم يدرج فى رياض الشفق دروج الطفل المدلل الموموق، حتى إذا أبدر واستحار شبابه تردد كل يوم بين المشرق والمغرب فى موكب ذاكر من كرام الملائكة، يختلط فيه تسبيح القائمين بذكر الصائمين، ويمتزج به سليل النور بسليل الطين؛ وتلك هى الأيام المباركة التى تتصل فيها السماء بالأرض من كل سنة

وهلال رمضان فى لغة الريفيين هو رمضان نفسه. لذلك يتخيلونه رجلاً له حياته وعمره وأجله. فإذا لم يبق منه إلا ربعه

الأخير تمثلوه في محفته السماوية محتضراً يعالج غصص الموت بين أناشيد الحور وصلوات الملائكة ؛ فيندبونه في البيوت والمساجد ، ويرثونه على السطوح والمآذن ، ويبكونه يوم الجمعة اليتيمة أحر بكاء !

***

قصفت المدافع المصرية في كل محافظة وفي كل مديرية في لحظة واحدة وعلى فترات محددة ، فافتر البشر على الشفاه ، وجرت التهنئات على الألسن ، واستولى على المنصورة شعور تقي هادئ خاشع لا يصدر عنه إلا الكلم الطيب والعمل الصالح . ورمضان يُرجع المسلم الصادق نقياً كفطرة المزن ، طاهراً كفطرة الوليد ، لا ينغمس في منكر ، ولا يخف إلى شر ، ولا يلغو في حديث ، ولا يبغي في خصومة . ومن ذلك كان كل حي سعيداً في رمضان ، ماعدا الروى والشيطان !

كان في كل طلقة من طلقات المدفع المبشر تنبيه إلى فضيلة من فضائل الصوم . فالمؤمن حين دوّى في سمعه صوت البارود تيقظت في نفسه نوازع الخير ففكر في توثيق ما وهن بين القلب والدين ، وتقريب ما بعد بين الغني والمسكين ، وتأليف ما نفر من القلوب المطمئنة ، ووصل ما انقطع من الأرحام الشابكة . ولكنه وا أسفا لم ير في هذا العام المآذن تتلألأ في أجيادها قلائد النور ، ولا فوانيس الأطفال تخفق شموعها في الشوارع والدور ، فتذكر أن هناك على سواحل البحر الأبيض وشواطئ بحر المانش مدافع غير هذه المدافع ، تنطلق لتعاقب كل نور وتظلم كل قلب وتخرب كل عامر وتقتل كل حي وتقطع كل سبب وتغشى أجواء السماء بدخان من البوار والدمار لا يقوم تحته قائم ولا يتنسم فيه حي !

ليت الذي حوّل لوثر هتلر ، ومسخ في هتلر الإنسانية نازية ، جعل في كل ركن من هذا الجحيم الأوربي رمضانَ بحكمته وطيبته وعقيدته ! إذن لكان كل مدفع للسلام ، وكل مصنع للخير ، وكل مخترع للحياة ، وكل مورد للناس ! « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولكن لا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم . وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ! »

إن الفرق بين مدافع رمضان ومدافع هتلر ، كالفرق بين القرآن و (كفاحي) . كتاب الله دستور الخالق لجميع خلقه ، فهو خير مطلق وأمن شامل ؛ وكتاب هتلر نزغ من الشيطان للألمان ، فهو شر محض وفزع دائم . فأنا حين أسمع مدافع رمضان في الغروب أو في السحر ، أعتقد أن جياعاً سينالون القوت ، وضُلالاً سيجدون الثوى ، وجوارح ستكف عن اجتراح الإثم ، ونفوساً ستراض على مكاره الفضيلة ، وأمماً في جميع بقاع الأرض سيغمرهم الشعور السامي الجليل بأنهم يسيرون إلى غاية الوجود قافلة واحدة ، ممتزجة الروح متحدة العقيدة متفقة الفكرة ، متشابهة النظام ، متماثلة المعيشة

وأنا حين أتصور مدافع هتلر أعتقد أن كتائب من الشباب الغريض قد صهرتهم النار فهم حمم على وجه الماء ، أو مزقتهم الشظايا فهم مِزَقٌ على أديم الثرى ؛ وأن آلافاً من الدور الأنيسة قد نبت مراقدها فهي حبوس ، وخمدت مواقدها فهي رموس ، ثم دكتها القنابل فهي أنقاض على أشلاء ، أو أحرقتها الصواعق فهي غسلين على لحم ؛ وأن ملايين من الأطفال قد حرموا عطف الأب وحنان الأم ، فهم يعانون في مطارح الغربة غصص الحرمان ومرارة اليتم ؛ وأن ألوفاً من الأيامى والثكالى أصبحن بغير عائل ولا مأوى ولا أمل ، فهن يعشين في ثيابهن السود بين الأطلال والخرائب كأنهن الأطياف الحزينة تجوس في الليل خلال المقابر ؛ وأن ملايين من العمال والصناع أدركتهم العطلة وقعد بهم الكساد فظلوا يكابدون حسرة الحاجة في أنفسهم ولوعة الهم في أهليهم ، وباتوا يضطربون بين البؤس واليأس اضطراب القنيص لا يجدون مخلصاً للحياة ولا للموت

إن الحرب في تاريخ الديمقراطية الإسلامية لم توقد نارها إلا دعاء إلى سبيل الله ، أو ابتغاء لخير الناس ، أو ذياداً عن سلامة الوطن ؛ أما أن تنهب المالك لأنك تريد أن تأكل ، وتسحق الشعوب لأنك تريد أن تنتقم ، وتخضع الدول لأنك تريد أن تسود ، فذلك ماضي البربرية الحمراء ، وحاضر الطغيان الأسود !

(المنصورة) احمد حسن الزيات

الحديث ذو شجون

للدكتور زكي مبارك

اللغة العربية في المدارس الأجنبية — كلمة صريحة إلى مدرسي اللغة العربية بتلك المدارس — إلى الوكيل المساعد لوزارة المعارف — أسئلة وأجوبة — القلب الذي تلفت فرأى وسمع

اللغة العربية في المدارس الأجنبية

تحت هذا العنوان نشرت «الرسالة» بحثاً سمّته «توجيهات لأحد المشتغلين بشئون التعليم» فهل أستطيع التعقيب على ذلك البحث أداء لحق الواجب في أمثال تلك الشؤون ؟

اهتم ذلك الباحث بتصوير حال اللغة العربية في المدارس الأجنبية وشغل نفسه وشغل القراء بالنص على ما يجب من حرص وزارة المعارف على الاهتمام بالتفتيش والاهتمام بالمواد التي تكوّن الثقافة المصرية رعاية لمصاير التلاميذ المصريين بالمدارس الأجنبية

وأقول إن ذلك الباحث لم يأت بجديد : فوزارة المعارف لا تحتاج إلى من ينبهها إلى التدقيق في التفتيش على المدارس الأجنبية ، ولا تحتاج إلى من يدلها على أهمية الحرص على تدريس المواد التي تكوّن الثقافة المصرية بالمدارس الأجنبية ، فمن المعروف أن معالي الدكتور هيكل باشا معنيٌّ بهذه الشؤون عناية جدية ، ونظار تلك المدارس يعرفون عنه هذه العناية ، وهم يبذلون جهوداً محمودة في تحقيق هذه المطالب

ولكن المهم هو النظر في الوسيلة التي تمكّن وزارة المعارف من المعاونة على تحقيق تلك الأغراض ، وهي وسيلة معروفة ، ولكن معالي وزير المعارف يتجاهلها مراعاةً للظروف الاقتصادية ، وليست هذه أول مرة يكون فيها «تجاهل العارف» من صور الكلام البليغ ؟ !

الحق أن معالي هيكل باشا يعاني صعوبات كثيرة في تدبير المال المطلوب لتحقيق ما يسمو إليه من كرائم الأغراض ، وهو يتلطف ويترفق في كل وقت ليقنع وزارة المالية بأن التعليم شؤوناً هي من أوائل الضروريات ، وأن الاقتصاد فيما يمس شؤون التعليم قد يكون من الشحّ البغيض

وهنا أجد الفرصة لإقناع معاليه بأن تقوية اللغة العربية في المدارس الأجنبية لن تضطره إلى الوقوع في نزاع مع وزارة المالية ، فهو يستطيع بكل سهولة أن يدبر لهذا العام أربعة آلاف جنيه للشروع في تحقيق ذلك الغرض النبيل ، ومن هذا المبلغ تقدم الإعانات لعدد كبير من المدرسين الفنيين في المدارس التي تتطلع إلى إعانة وزارة المعارف ... ولمعاليه أن يتصور كيف يكون فرح اللغة العربية بهذه الأربعة الآلاف وهي مبلغ ضئيل بالقياس إلى ما تجرّه من النفع الحق في تقوية اللغة العربية بالمدارس الأجنبية

بأربعة آلاف فقط ، وهي مبلغ يقدّم لمدرسة واحدة من المدارس المصرية ، بأربعة آلاف فقط يشهد التاريخ بأن معالي الدكتور هيكل باشا قدّم يداً كريمة للمدارس الأجنبية ، وبأربعة آلاف فقط يشهد الأجانب بأن المصريين يعرفون معنى الحرص على إعزاز اللغة القومية

وقد أمضي إلى نهاية الشوط فأقول : إن معالي الدكتور هيكل باشا يستطيع أن يُصدر قراراً باعتبار مدرسي اللغة العربية بالمدارس الأجنبية مدرسين منتدبين من وزارة المعارف كالمدرسين الذين يُنتَدبون للتدريس في الحجاز والشام ولبنان والعراق ، وعندئذ يعرف هؤلاء المدرسون أن لهم حقوقاً محفوظة في الأقدمية والترقية فتقل رغبتهم في التطلع إلى الالتحاق بالوظائف الحكومية ، ويشعرون بأنهم في رعاية الدولة ، وبأنهم ليسوا من المنسيين ، وبأن من الهوان أن يُردّوا إلى مدارس الحكومة ، لأن ذلك معناه أنهم عجزوا عن الظفر بثقة المدارس الأجنبية ، وهي ثقة لها معنًى دقيق

فما رأيُ معالي هيكل باشا في هذين الاقتراحين ؟ وما رأيه إذا صارحتُه بأن اهتمامه بمصاير اللغة العربية في المدارس الأجنبية لن يُؤتي الثمرات المرجوّة إلا بتحقيق هذين الاقتراحين ؟

يجب أن يَذكر معالي هيكل باشا أن المدارس الأجنبية في طريق التمصُّر والاستعراب ، وهي خطوات تستأهل التشجيع ، فإلى مَن نتوجه إذا بخل بهذا التشجيع ، وله أبناء يتعلمون بالمدارس الأجنبية ، ولهم عليه حقوق ؟

ولو كنت أعرف أني أحرج معالي وزير المعارف بهذين الاقتراحين لما استبحتُ نشرهما بطريقة علنية ، وإنما أعرف أنه اهتم بهذه المسألة مرات كثيرة ، ولم يعد من الأسرار أن يقال إنه يبالغ في الحرص على إنهاض التعليم الحر ، وفي نفسه أن ذلك

طريق لجذب المدارس الأجنبية إلى تقوية مواد اللغة العربية والثقافة المصرية عساها تستطيع الظفر المطلق بثقة آباء التلاميذ فى زمن لم يبق فيه مجال للحياة فى مصر أمام الشبان العاجزين عن مسايرة المجتمع المصرى ، وهو مجتمع يعبر عن مطامحه فى الجد والحياة باللغة العربية .

كلمة صريحة

هى كلة أوجهها إلى مدرسى اللغة العربية بالمدارس الأجنبية ، فأغلب أولئك المدرسين ينسون أو يتناسون أن وجودهم بتلك المدارس فرصة ثمينة لتعلم اللغات الأجنبية ، والتعرف إلى ما عند الأجانب من آداب ومذاهب فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية

كنت أرجو أن يفهم من يشتغل بالتدريس فى مدرسة فرنسية أو انجليزية أو إيطالية أو ألمانية أنه انتقل إلى جوّ من أجواء باريس أو لندن أو روما أو برلين

ولكن أولئك المدرسين يعيشون بمعزل عن الجوّ الروحى لتلك المدارس ، وتظلّ صِلاتهم بها صلات منافع تُحدُّ بحدود المرتّب ولا تجاوزه إلا فى قليل من الأحايين ، وتكون النتيجة أن ينعدم التآلف والتعاطف ، ولذلك تأثير فى سير الأعمال المدرسية ، لأن التجاوب الروحى بين النظار والمدرسين يعاون على تخفيف ما فى مهنة التدريس من أعباء ثقال

أنا أحب لمن يشتغل بتدريس اللغة العربية فى مدرسة أجنبية أن يُضمر فى قرارة نفسه أنه لن يفارق مدرسته أبداً وأنه سيجعلها داره إلى أن يفكر فى الراحة من عناء التدريس

وقد اتفق لى فيما سلف أن أقضى أعواماً كثيرة فى التدريس بالمدارس الأجنبية ، وما أذكر أبداً أنى لقيتُ من أصحابها ما أكره ، وما زلت أذكر بالخير والعطف والحب أيامى بالليسيه فرانسيه والجامعة الأمريكية ، وإن كنت أذكر بالحسرة واللوعة أنه فاتنى أن أنتفع من صحبة أولئك القوم أكثر مما انتفعت ، فقد كانت قلوبهم مفتوحة أمامى ، وكنت أستطيع الانتفاع بمعارفهم وتجاربهم فى كل وقت

وخلاصة القول أنه يجب على مدرسى اللغة العربية بالمدارس الأجنبية أن يعتبروا أنفسهم فى دُورهم ، وأن ينسوا أنهم « أجانب فى دُور الأجانب » ، فما كانوا ولا كان رؤساهم بتلك المدارس إلا جنوداً فى الميدان العلمى ، وهو ميدان تظهر فيه المواهب وتختفى الأجناس

الى الوكيل المساعد لوزارة المعارف

لم يتفضل سعادة الأستاذ شفيق غربال بدعوتى إلى الاشتراك فى اللجنة التى ألفها لوضع القواعد الأساسية لاختيار المدرسين الذين يُنتدَبون للتدريس بمدارس العراق ، ولم أتطفل فأتشرف بعرض آرائى عليه فى هذا الموضوع الدقيق ، وليتنى فعلتُ فقد يجب التطفل فى بعض الأحيان !

فماذا صنع وماذا صنعت اللجنة البصيرة بالعواقب ؟ !

أعلنوا فى الجرائد عن موضوع يضرّ فيه الإعلان أكثر مما ينفع ، فاستجاب لهم مئات المدرسين ، إن صحّ ما أذيع !

فهل من الحق أن عندنا مئات تسمح لهم المواهب والكفايات بأن يكونوا أساتذة بالمدارس الثانوية والعالية بالعراق ؟ ولنفرض أننا نملك هؤلاء المئات من المدرسين الأكفاء ، فهل نراهم جميعاً صالحين للتمرس بأعباء مهنة التدريس فى ديار الرافدَين ؟

لم يبق إلا أن نتخيَّر ، ولكن كيف نتخيَّر عشرات من أولئك المئات ؟ وقد تخيَّرنا بالفعل ، فماذا وقع ؟

وقع أن بعض من تخيَّرناهم عادوا فآثروا التخلف ، فهل فكرت الوزارة فى معاقبة أولئك الجنود الفارّين ، وقد اكتفوا من التشريف بخطورهم فى بال وزارة المعارف ؟

يجب أن تكون للوزارة سياسة ثابتة فى هذه الشؤون ، ويجب أن تكون عندها إحصائية دقيقة بالمدرسين الذين يصلحون لأمثال هذه الواجبات وعندئذ يكون من حق الوزارة أن تنقل المدرس المنشود من القاهرة إلى بغداد أو البصرة أو الحلة أو الموصل كما تنقله من القاهرة إلى دمنهور أو المنصورة أو أسيوط أو أسوان ، ثم لا يكون من حق ذلك المدرس أن يتخلف لأنه جندىّ يُنقَل من ميدان إلى ميدان

أكتب هذا وأنا أعرف أن وزارة المعارف العراقية فى انتظار جواب وزارة المعارف المصرية عن هذا السؤال : « ما الرأىُ فى المدرس الذى يتخلف عن موعد افتتاح الدراسة أسبوعاً أو أسبوعين أو أسابيع ، والى من يحتكم التلاميذ الذين تضيع منافعهم بتخلف المدرسين ؟ »

ولكن لا بأس ، فالمصريون والعراقيون أشقاء ، ومن واجب الشقيق أن ينسى تقصير الشقيق ، فهو على كل حال أخ « شفيق » !

أسئلة وأجوبة

استطاع الأديب الذى وجهنا إليه عشرة أسئلة حول بيت من الشعر وقعتْ فيه غلطة مطبعية لا تحتاج إلى عناء فى التصحيح، لأنها لا تزيد عن التنبيه إلى أن خبر المبتدأ واجب الرفع، استطاع ذلك الأديب أن يجيب إجابة صحيحة عن ثلاثة أسئلة، وأن يشرع فى الإجابة عن سؤال رابع، ثم حاول الإجابة عن سائر الأسئلة فلم يوفَّق، فأرجوه أن ينظر من جديد فى الأجوبة التى ظنها تخرجه من ذلك الموقف الحرج، إن كان يهمه أن يقال إنه سُئل فأجاب

وليعرف إن لم يكن يعرف أنى لا أعادى قرائى، وإنما أهتمّ من وقت إلى وقت بجذبهم إلى المراجعة والاستقصاء، فإن كان تأذى من هجوى عليه فليذكر أنى أتحت له فرصة ثمينة للنظر والتعقيب. وقد كنت هممتُ بشرح الأخطاء التى وقعت فى أجوبته «السديدة» ثم رأيت أن أَكِل ذلك إليه، فتلك فرصة لمحاورة نفسه فى الخطأ والصواب

القلب الذى تلفت

جاء فى الكلمة الروحية التى نشرتها «الرسالة» للأستاذ محمود البشبيشى أن قلبه تلفّت فرأى وسمع، ثم أكّد المعنى فقال

«يا دكتور، إن القلوب لتسمع وترى وتتلفّت»

هو ذلك، يا صديقى، منذ الفِطرة الأزلية، أو منذ اليوم الذى «تلفّت القلبُ» فيه عند وقفة الشريف الرضى على ديار بعض الأحباب

ولكن أين حظى من حظك، يا صديقى؟

ما كاد قلبك يتلفّت إلى صاحب «النثر الفنى» حتى رأيت وجهه وسمعت صوته فى مدينة جميلة هى المنصورة العصماء

وقلبى يتلفت ويتلفت ويتلفت منذ شهور طِوال طِوال طِوال إلى رُوحٍ غالية كانت خلائقها الروحانية هى الشاهد على أن فى دنيانا نسائم من فراديس الجنان

وعلى طول التلفت والتسمّع «تلفُّت القلب وتسمع القلب» لم أظفر من أخبارها بشىء؛ ولعل الشريف كان فى مثل حالى يوم قال:

ومن حَذَرٍ لا أسأل الركبَ عنكم ... وأعلاقُ وجدى باقيات كما هيا
ومن يسأل الركبان عن كل غائب ... فلا بدّ أن يلقى بشيراً وناعيا

فماذا تُضمر الدنيا فى أيامها المقبلات؟

وماذا عند القَدَر من مكنون النعيم أو الجحيم للقلب الذى صيّر الحديث عن الحب شريعة من شرائع الوجود؟

أين بائع النسيان، يا صديقى، وأين بائع السُّلوان؟

وأين من يوهمنى بأن تلك الزهرة لم تكن نفحة سماوية وإنما كانت نفحة أرضية لا نصيب لأرجها العَطِر من روح الخلود؟

لقد بدأ قلبى يخمُد من لفح اليأس، وإن دام هـذا الحال فلن ترى فى أحاديثى إليك غير التوجع للقلب الذى أضاعه تقلُّب القلوب

وما ذنبى عند تلك الروح؟

ذنبى وذنوبى وعيبى وعيوبى أن لم أُطعها بالافتضاح فى الحب ولم أسطِّر فى هواها مئات الصفحات كما صنعتُ مع «ليلى المريضة فى العراق» كأنما كان مكتوباً علىّ أن أقضى الدهر فى الهيام بالعيون العَسَلية والعيون السود، عيون أهل القاهرة وعيون أهل بغداد، والله وحده هو الذى يعلم مواقع هواى، فلن أطيع تلك اللئيمة فى الترحيب بمآثم الافتضاح

وما الموجب لقتل الوقت والعافية فى تذكر القلوب الغوادر، وفى دنيانا تكاليف تميد من أثقالها الجبال؟ ما الموجب؟! ...

المُوجب معروف وهو الوثاق المسطور فى اللوح المحفوظ بألا تهيم روح إلا مجذوبة إلى روح

أما بعد فإن قال قومٌ إنى كاذبٌ فى الحب فقد صدقوا، وإن قال قوم إنى صادق فى الحبّ فقد صدقوا، فأنا كاذبٌ فى تصوير ما أعانى من شقاء: لأن الواقع يشهد أن الحب لم يشغلنى عما أضطلع به فى حياتى الخصوصية والعمومية من أعباء ثقال؛ وأنا صادق فى تصوير ما أقاسى من لواعج وأشجان: لأن الواقع يشهد أيضاً أن حياتى لم تخلُ من التأثر بمكايد السحر والفتون

كم تمنيت أن أكون فى الحب من الكاذبين! وكم تمنيت أن أكون فى الحب من الصادقين، لو كان فى المقدور أن ينال الرجل ما يتمناه! وأنا على كل حال أحكمت أحبولة الرياء فقلت ما قلت وأنا فى أمان من كيد الوشاة والعذّال ... وكيف يعظم علىّ الرياء وأنا أول من تقرب إلى الله بالرياء؟

إنى أرائى من أحب، ولكنى لا أرائى من أبغض، فلأعدائى الويل إن توهموا أنى سأجزيهم رياء برياء. كتب الله لى فى تأريق جفونهم المواجد أجر المجاهدين

زكى مبارك

في الاجتماع اللغوي

تطور اللغة وارتقاؤها

أثر العوامل الأدبية المقصودة : الرسم

للدكتور علي عبد الواحد وافي
مدرس الاجتماع بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

تكلمنا في المقال السابق عن أنواع الرسم وتاريخه ، وسنعرض في هذا المقال لموضوع مطابقته للنطق ولأثره في حياة اللغة وتطورها

الأصل في الرسم الهجائي أن يكون معبراً تعبيراً دقيقاً عن أصوات الكلمة بدون زيادة ولا نقص ولا خلل في الترتيب ؛ فيرسم في موضع كل صوت من أصواتها الحرف الذي يرمز إليه ، ولا يوضع فيها حرف زائد لا يكون له مقابل صوتي . وقد حوفظ على هذا الأصل إلى حد كبير في بعض اللغات الإنسانية ، وخاصة القديم منها . فرسم الكلمة في السنسكريتية مثلاً لا يكاد يختلف في شيء عن صوتها[1] ، ولكن معظم أنواع الرسم ، وخاصة الحديث منها ، لا تتوافر فيه هذه المطابقة . فكثيراً ما يرسم في الكلمة حرف زائد أو حروف زائدة ليس لها مقابل صوتي في النطق (« مائة » في العربية ؛ "loup" في الفرنسية ؛ "thumb" في الإنجليزية ... الخ) . — وكثيراً ما تشتمل الكلمة على أصوات لا تمثلها حروف في الرسم (« هذا » في العربية ؛ " picture " في الإنجليزية ... الخ . — وكثيراً ما يرسم في الكلمة حرف أو أكثر للتعبير عن صوت غير الصوت الذي وضع له (" dompter " في الفرنسية ؛ "enough" ، "ocean" ، " of " في الإنجليزية ... الخ) — وكثيراً ما ينطق بالحرف الواحد أو بالمقطع الواحد في صور صوتية مختلفة تبعاً لاختلاف الكلمات أو اختلاف أزمنتها ، أو اختلاف موقعه فيها ، أو اختلاف ما يسبقه أو يلحقه من حروف ... ؛ فيرقق في بعض الكلمات ويفخم في بعضها الآخر ، أو يمد في بعضها ويقصر في بعضها الآخر ، أو يضغط عليه في بعضها ويرسل في بعضها الآخر ... وهلم جرا (اللام) في « والله » « بالله » " law, low ", " a piece of lead, I lead some men "; " I will read this book, I have just read this book " ; " The lines that separate..., this book contains separate sciences " ; " I object against this way, the object of our book is... " ; " a piece of bread, in time of peace " وكثيراً ما تختلف الحروف في كلمتين ويتحد النطق بهما

ويرجع السبب في هذه الظواهر وما إليها إلى عوامل كثيرة من أهمها عاملان :

أحدهما : أن حروف الهجاء في معظم أنواع الرسم لا تمثل جميع أصوات اللغة التي تكتب بها . فقد جرت العادة مثلاً في معظم أنواع الرسم ألا يوضع لكل صوت عام أكثر من حرف هجائي واحد ، مع أن الصوت العام كثيراً ما يندرج تحته أصوات مختلفة في مخرجها ونبرتها وقوتها ومدة النطق بها وما إلى ذلك . فالصوت العام للام مثلاً ليس له في معظم أنواع الرسم الحديثة إلا حرف واحد (ل l ...) ؛ مع أن هذا الصوت يختلف نطقه باختلاف الكلمات والمواقع . فأحياناً ينطق به مرققاً (بالله low, hole) ، وأحياناً مفخماً (والله ، law) ؛ وتارة ينطق به مضغوطاً عليه (أقسم بالله) وأخرى ينطق به مرسلاً (نستعين بالله) ... وهلم جرا ؛ ورسمه واحد في جميع هذه الحالات . والصوت العام للألف اللينة ليس له في العربية إلا حرف واحد ؛ مع أنه أحياناً ينطق به مستقيماً وأحياناً ينطق به ممالاً . والصوت العام للجيم ليس له في العربية إلا حرف واحد ؛ مع أنه في بعض اللهجات ينطق به مجرداً من التعطيش ، وفي بعضها ينطق به معطشاً كل التعطيش ، وفي بعضها ينطق به بين هذا وذاك .

وثانيهما : أن أصوات اللغة في تطور مطرد وتغير دائم . فالأصوات التي تتألف منها كلة ما لا تجمد على حالتها القديمة ، بل تتغير بتغير الأزمنة والمناطق ، وتتأثر بطائفة كبيرة من العوامل الطبيعية والاجتماعية واللغوية : فأحياناً يسقط منها بعض أصواتها

(1) وقد ساعد على ذلك أن الرسم السنسكريتي لم يكد يغادر صوتاً من أصوات اللغة إلا وضع له حرفاً يرمز إليه . ولذلك كثرت حروف الهجاء في هذا الرسم ، وقويت على التعبير عن مختلف الأصوات ، فقد بلغت ٤٦ حرفاً ساكناً و١٣ حرفاً ليناً ، هذا إلى ثلاث علامات الشكل .

القديمة ، وأحياناً تضاف إليها أصوات جديدة ، وتارة يستبدل ببعض أصواتها أصوات أخرى ، وتارة تحرف أصواتها عن مواضعها فيختل ترتيبها القديم ... ؛ وقد ينالها أكثر من تغير واحد من هذه التغيرات . على حين أن الرسم لا يساير النطق في هذا التطور ، بل يميل غالباً إلى الجمود على حالته القديمة أو ما يقرب منها ؛ فلا يدون الكلمة على الصورة التي انتهت إليها أصواتها ، بل على الصورة التي كانت عليها من قبل ؛ وهذا هو منشأ الخلاف في معظم اللغات الأوربية الحديثة بين النطق الحالي لكثير من الكلمات وصورتها في الرسم . فمعظم وجوه هذا الخلاف ترجع إلى جمود الرسم وتمثيله لصور صوتية قديمة نالها مع الزمن كثير من التغير في ألسنة الناطقين باللغة .

***

هذا ، وللرسم في حياة اللغة ونهضتها آثار تجل عن الحصر ، فبفضله تضبط اللغة وتدون آثارها ، ويسجل ما يصل إليه الذهن الإنساني ، وتنتشر المعارف وتنتقل الحقائق في الزمان والمكان . وهو قوام اللغات الفصحى أو لغات الكتابة ودعامة بقائها . وبفضله كذلك أمكننا الوقوف على كثير من اللغات الميتة كالسنسكريتية والمصرية القديمة والإغريقية واللاتينية والقوطية . فلولا ما وصلنا من الآثار المكتوبة بهذه اللغات ما عرفنا منها شيئاً ولضاعت منا مراحل كثيرة من مراحل التطور اللغوي . غير أن عدم مطابقة الرسم للنطق يجعل له بجانب المحاسن السابقة بعض آثار ضارة، فهو يعرض الناس للخطأ في رسم الكلمات، ويجعل تعلم القراءة والكتابة لأهل اللغة أنفسهم من الأمور الشاقة المرهقة ، ويطيل مدة الدراسة ، فيسبب إسرافاً كبيراً في الوقت والجهود ، وما يلاقيه أهل اللغة من صعوبات بهذا الصدد يلاقي أضعافه الأجانب الراغبون في تعلمها ، ومن الواضح أن هذا يعوق انتشارها في الخارج ، ويضيق سبل الانتفاع بآدابها وعلومها ، فيصعب التفاهم بين الشعوب وتضعف بينها حركة التبادل العلمي والثقافي . هذا إلى أن تمثيل الرسم لصور صوتية قديمة يعمل على رجع اللغة إلى الوراء وردها إلى أشكالها العتيقة . فكثيراً ما يتأثر الفرد في نطقه للكلمة بشكلها الكتابي ، فلا يلفظها بالصورة التي انتهى إليها تطورها الصوتي ، بل ينطق بها وفق رسمها فتنحرف إلى الوضع الذي كانت عليه في العهود القديمة . وليس الأجانب وحدهم هم المعرضين لهذا الخطر ، بل إنه كثيراً ما يصيب أهل اللغة أنفسهم . وإليك مثلاً الحرف المضعف في اللغة الفرنسية في مثل savamment, évidemment ... الخ فقد كان ينطق به وفق رسمه في العصور الأولى لهذه اللغة . ثم انقرضت هذه الطريقة منذ خمسة عشر قرناً تقريباً ، وأخذ الفرنسيون ينطقون به مخففاً كما ينطقون بحرف واحد savaman, évidaman ولكن منذ عهد قريب أخذت عادة النطق به مشدداً تظهر في ألسنة كثير منهم تحت تأثير صورته الخطية . فمن جراء الرسم نكصت اللغة على عقبيها في هذه الناحية خمسة عشر قرناً إلى الوراء[1]

ومن أجل ذلك كان العمل على إصلاح الرسم وتضييق مسافة الخلف بينه وبين النطق موضع عناية كثير من الأمم في مختلف العصور . فقد ظهر في هذا السبيل بعض حركات إصلاحية عند اليونان والرومان في العصور السابقة للميلاد . وفي أواخر القرن التاسع عشر عالج الألمان أساليب رسمهم القديم وأصلحوا كثيراً من نواحيه . ومثل هذا حدث منذ عهد قريب في مملكة النرويج ثم في جمهورية البرازيل . وقد بدت بهذا الصدد محاولات إصلاحية كثيرة في البلاد الواطئة (هولاندا) وانجلترا والولايات المتحدة ؛ ولكن معظم هذه المحاولات لم يؤد إلى نتائج ذات بال وأدخلت الأكاديمية الفرنسية ـ يشد أزرها ويعاونها طائفة من ساسة فرنسا وعلمائها ـ إصلاحات كثيرة على الرسم الفرنسي . وقد جانبت في إصلاحاتها هذه مناهج الطفرة ، واتبعت سبل التدرج البطيء . فكانت تدخل في كل طبعة جديدة لمعجمها — بجانب التنقيحات اللغوية والعلمية — طائفة من الإصلاحات الإملائية . وقد أقرت عام ١٩٠٦ مجموعة هامة من القواعد الجديدة في الرسم الفرنسي . هذا إلى إصلاحات العلامة جريار Gréard التي تناولت كثيراً من نواحي الرسم وأقرتها الأكاديمية الفرنسية . وكانت كل مجموعة من هذه الإصلاحات تلقى مقاومة عنيفة من جانب غلاة المحافظين . وعلى الرغم من ذلك ، فقد عم الأخذ بها ، وكان لها أكبر فضل في تيسير الرسم الفرنسي

(١) ومن ذلك أيضاً الحروف الساكنة (غير الهينة) في آخر الكلمات فقد حذفت في النطق الفرنسي في معظم المفردات منذ عهد بعيد ، ولكن أخذ كثير من الفرنسيين في العهد الحاضر ينطقون ببعضها تحت تأثير صورته الخطية but (نطقها الصحيح bu) وقد تحولت الآن في ألسنة كثير من الفرنسيين إلى « bute »

وتضييق مدى الخلاف بينه وبين النطق الحديث

والرسم العربي نفسه قد تناولته يد الإصلاح أكثر من مرة من قبل الإسلام ومن بعده. ومع ذلك لا يزال عدد كبير من المفكرين في عصرنا الحاضر يأخذون عليه كثيراً من وجوه النقص والإبهام، وينادون بإصلاحه من عدة نواح وخاصة فيما يتعلق برسم الهمزة والألف اللينة، وابتداع طريقة لإحلال علامات ظاهرة ترسم في صلب الكلمة محل الفتحة والكسرة والضمة حتى يتقى اللبس في نطق الكلمات: (عَلِم، عُلِم، عِلْم، عَلَمَ ... الخ). ولكن الرسم العربي ليس في حاجة إلى كثير من الإصلاح، فهو من أكثر أنواع الرسم سهولة ودقة وضبطاً في القواعد ومطابقة للنطق

***

هذا، وعلى الرغم من المساوئ السابق ذكرها، فإن لجمود الرسم على حالته القديمة أو ما يقرب منها بعض فوائد جديرة بالتنويه، فهو يوحد شكل الكتابة في مختلف العصور، ويسهل تناقل اللغة، ويمكن الناس في كل عصر من الانتفاع بمؤلفات سلفهم وآثارهم. فلو كان الرسم يتغير تبعاً لتطور أصوات الكلمات لأصبحت كتابة كل جيل غريبة على الأجيال اللاحقة له، ولا احتاج الناس في كل عصر إلى تعلم طرق النطق والإلمام بحالة اللغة في العصور السابقة لهم حتى يستطيعوا الانتفاع بمخلفات آبائهم. هذا إلى أن جمود الرسم على حالته القديمة يفيد الباحث في اللغات أكبر فائدة. فهو يعرض له صورة صحيحة لأصول الكلمات، ويقفه على ما كانت عليه أصواتها في أقدم عصور اللغة فالرسم للألفاظ أشبه شيء في هذه الناحية بالمتحف للآثار.

***

وقد كان للرسم في اللغات الأوربية فضل كبير في تيسير النطق بكثير من الأسماء المتداولة المركبة من عدة كلمات، فقد جرت العادة أن يكتفي في التعبير عن هذه الأسماء بذكر الحروف الأولى للكلمات التي تتألف منها: "t. s. f. = télégraphe sans fil; "M. A." = Master of arts. وشاع هذا الاستعمال في أسماء المخترعات، والشركات، والأحزاب، والفرق الحربية، والنظريات، والشهادات العلمية ... وما إلى ذلك. وقد أنزلت هذه الرموز منزلة الكلمات، وأخذ الناس يصرفونها وينسبون إليها ويشتقون منها أفعالاً وصفات. وللاقتصار عليها وكثرة استخدامها في الحديث والكتابة تنوسي أصلها عند عامة الناس، وأصبح كثير منهم يعتقد أنها كلمات كاملة (النازى، الأزناك ... الخ)

وللرسم أثر كبير في تحريف النطق بالكلمات التي يقتبسها الكتاب والصحفيون عن اللغات الأجنبية. وذلك أن اختلاف اللغات في الأصوات وحروف الهجاء والنطق بها وأساليب الرسم، كل ذلك يجعل من المتعذر أن ترسم كلمة أجنبية في صورة تمثل نطقها الصحيح في اللغة التي اقتبست منها. فينشأ من جراء ذلك أن ينطق بها معظم الناس بالشكل الذي يتفق مع رسمها في لغتهم، ويشيع هذا الأسلوب من النطق، فتصبح الكلمة غريبة كل الغرابة أو بعض الغرابة عن الأصل الذي أخذت عنه. وليس هذا مقصوراً على اللغات المختلفة في حروف هجائها كالعربية واللغات الأوربية، بل يصدق كذلك على اللغات المتفقة في حروف الهجاء كالفرنسية والإنجليزية. فجميع الكلمات الإنجليزية التي انتشرت في الفرنسية مثلاً عن طريق رسمها في الصحف والمؤلفات ينطق بها الفرنسيون في صورة لا تتفق مع أصلها الإنجليزي: boy-scout; foot-ball; rugby; hockey; sterling, standard of living..etc. حتى إن كثيراً منها لا يكاد يتبينها الإنجليزي إذا سمعها من فرنسي

علي عبد الواحد وافي
ليسانسيه ودكتور في الآداب من جامعة السربون

القبر التائه !

للأستاذ على الطنطاوى

كم ذا يقاسى العاشقون ويألمون ، ولا يدرى بهم أحد ، ولا يبلغ وهمُ إنسان تصوّر ما يعانون

كم للحب من شهداء عاشوا بائسين ، وقضوا صامتين ، فما حازوا مجداً ولا فخاراً ، ولا اشتروا جنة ولا أمنوا ناراً ... مساكين ... يعيشون فى دنيا الناس وليسوا فيها ، يرون بغير العيون ، فلا يرى الناس ما يرون ، ولا يبصرون ما يرى الناس ، يموت عندهم كل حى ما لم يتصل بالحبيب ، ويحيا كل ذى صلة به حتى الجماد ...

إن فكروا ففى المحبوب ، أو تكلموا فَمِنْهُ ، أو اشتاقوا فاليه ، أو تألموا فعليه ...

فإن تكلمت لم أنطق بغيركم   وإن سكتُّ فشغلى عنكم بكم

وإن منحوا الدنيا باعوها كلها بقبلة منه أو شمّة أو ضمّة ، ثم لم يأملوا إلا دوامها ، أو الموت بعدها لئلا يجدوا فقدها ؛ لا يألمون إن قال الناس مجانين ، ولا يحزنون إن نالهم الأذى ، بل ربما سرهم ما يسوء ، إن كان فيه رضا المحبوب ...

وياويلهم من العذال ، يا ويل الشجىّ من الخلى !

يلومون قيساً ، لأنهم لا يرون ليلاه إلا امرأة كسائر النساء ، ففى كل امرأة عوضٌ عنها وبديل منها ، ولو استعاروا عينى قيس فنظروا بها ساعة لرأوا ليلى هى الدنيا ، وهى الأخرى ، وهى الروح ، لولاها ما كانت الحياة ، ولا أضاءت الشمس ، ولا أنار القمر ، ولا بسم الروض ، ولا ضحك الينبوع ، ولا همس النسيم ، ولا غنى الطائر ، ولا كان فى الدنيا جميل ...

قصة الحب هى القصة الأزلية التى تكرر دائماً ، وتعاد أبداً ، لا تمل ولا تسأم . وهل يمل حديث الحب ويحكم ! نقرؤها كل يوم فلا نراها تبدل فيها إلا الاسم ، فهى آناً قصة ليلى أو لبنى أو عفراء أو سلمى كرامة ، وهى آناً قصة هلويز أو ماجدولين أو فرجينى أو شارلوت ، ولا تَغيُّر إلا المنازل ؛ فمن بطاح نجد إلى ضفة البحيرة ، إلى ساحل الدنيا الجديدة ، إلى ظلال الزيزفون ...

أما القصة فهى هى ما تبدلت ولا تغيرت ... ولا يمكن أن تتبدل حتى تبدل الأرض غير الأرض ...

على أن للحب مواسم ، وله منازل ، ينبت فيها كما ينبت النخيل فى البصرة ، والكرم فى الشام . فمن منازله لبنان ...

لبنان (شرقيه والغربى) الذى برأه الله على مثال الجنة : روح وريحان ، وحور وولدان ، فمن حل فيه مؤمناً ذاق نعيم الخلود فى دار الفناء ، وأحس فى الدنيا بسعادة الأخرى ؛ ومن حلّه غير مؤمن أذهب طيباته فى حياته الدنيا واستمتع بها ، وما له فى الآخرة من خلاق !

لبنان الذى كان دار الأولياء والشعراء والسياح والزهاد ، من كل عابد متبتل ، ومحب هائم ، وتائب أوّاب !

لبنان الذى جعل الله ماءه خمراً ، وجماله سحراً ، فلا تدرى أهو السحر قد خيّل لك أنك فى جنة الخلد ، أم هو السكْر قد جعلك تحس التخلص من هذا العالم ، الغارق فى الدم ، الملتحف باللهب ، وتشعر أنك تعيش فى الأفق الأعلى عيشة اللذة الدائمة ، والذهول الناعم الهنيء ، وسط عوالم من النور تدرك ولا ترى ...

لبنان الذى لا تدرى أى شىء فيه هو أجمل : أذراه التى تبرقعت ببراقع الثلج فلم تبصرها عين حى من يوم خلق الله العالم ، فعز بالحجاب جمالها حين ذل بالسفور الجمال ، أم سفوحه الحالية بالصنوبر ، أم القرى المنثورة على تلك السفوح ، أم صخوره الرهيبة الهائلة ، أم ينابيعه المتفجرة تفجر الحكمة على لسان نبى ، أم أوديته الملتوية التواء الفكرة فى رأس أديب لا يملك البيان عنها ؟ وأيّه هو أبهى : أصباح (بلودان) ، أم ظهيرة (الشاغور) من (حمّانا) ، أم الأصيل الفاتن فى ربى (صوفر) ، أم المساء الوادع فى خليج (جونيه) ، أم مناجاة الملائكة فى قمة (جبل الشيخ) ، أم مسامرة الزمان عند (الأرز) ، أو فى (بعلبك) ؟

أم أنت تؤثر هذا كله ، وتتمنى لو شملته بنظرة منك واحدة ، ثم ضممته إليك ، ثم شددت عليه ، حتى أفنيته فيك ، أو فنيت أنت فيه ؟

تعالوا سائلوا سفوحه وذراه ووديانه ورباه ، كم شهد من فصول هذه القصة الخالدة ، قصة الحب ... وكم أريق على صخوره

من الحيوات والعواطف . . يطل جوابكم لو ملك الكلام ... ولكنه أبكم لا ينطق والناس بكم لا يروون إلا تاريخ الوحشية المدمرة العاتية ويحفظونه أبناءهم ليكون لهم منه أظفار كأظفار الوحش ، ومخالب كمخالب النسور ، أما تاريخ الإنسانية العاشقة فإنهم يزدرونه ويترفعون عن حفظه ، ويرون من الخطر على الأخلاق أن يدرس في المدارس !

وكذلك أرى أنا ... وهل أنا إلا من غزيّة ؟ ...

وإلا فمن يروى لي قصة هذا القبر التائه ، الذي نأى عن موطنه ، وفارق إخوانه ، وطوّف حتى استقر عند قدم صخرة هائلة من صخور (رأس بيروت) ، يلطمه الموج صباح مساء ، فيستغيث استغاثة غريق عاين الموت ، ولا من مغيث !

* * *

قبر منفرد ضائع بين الصخور ليس ما يدل عليه إلا حجر منحوت نحتاً غير متقن ، عليه كتابة قد براها الماء فلم يبق منها إلا أنقاض هذه الأبيات :

الشمس تطلع تارة وتغيب — والليـل يجمع شمل ... ...
وأنا محب لم أجد إلا الشقا — أحيي الليالي ... ...
أفيجمع القبر الأحبة إن تمت — ويكون ... ...

فمن (يا أهل بيروت) يعرف تلك القصة التي لم يبق منها إلا هذه الخاتمة الأليمة : قبر تائه ، عليه شعر إن لم يحفل به علماء اللسان ، كان حسبه أن يحفل به علماء القلوب ؟

هل في هذا القبر عاشق من لبنان يوم لم يكن قد فسد لبنان ولا عاثت فيه يد الحضارة ، عرف فتاته في الطفولة الحلوة البريئة التي تهدي بين البيت السعيد ، والحقل الخصيب ، والمرعى الجميل ، والكرم البهي ، فكانا يلحقان الأفراخ (الصيصان) وهنّ بنات يوم واحد ، قد خرجن من البيض كرات ذهبية من الريش الأصفر الناعم ، تطير لخفتها مع النسيم ، وتحلّ حلاوتها في الفؤاد ، فإذا رأتهما الدجاجة الأم ، فأقبلت عليهما نافشة ريشها مستنسرة ، خافا فارتدا إلى الجدي يلاعبانه ، والجحش يركبانه . وكان عالمهما صغيراً كله ، والصغير من كل شيء فاتن محبوب . ومن منا لا يحب الصبي ، والبنيّة ، وفرخ الطائر ، والهريرة ، والـكليب ، وغصين الشجرة ، وزر الورد ، والكتيّب ، والقليم ، وكل لطيف من التحف والطرف[1] ، ودقيق من الأشياء ؟ من لا تنجذب إلى ذلك نفسه ، ويحنو عليه قلبه ؟

ثم كبرا ، فكانا يصحبان القطيع إلى القمم القريبة وإلى الوادي . ثم أبعدا المرعى ، فكانا يرافقان الشمس في غدوها ورواحها ويطوّفان تطوافها . ثم اكتمل جمالها وتمت رجولته ، وكذلك تؤتي الفضيلة أكلها إذا عاشت تحت عين الشمس في الأعالي التي لا ترق إليها جراثيم المرض وأمهاته ، فصارا يقاسمان الكبار السمر على (المصطبة) في ليالي الصيف ، وفي (العلّية) في الشتاء . ومرت الأيام ، فإذا هي فاتنة القرية وحسناؤها ، وإذا هو بطل الديرة ورجلها ، ومقدم الشباب في المصارعة ، وحمل الأثقال ، والعدو ، والسباحة ، وتلك كانت مفاخر الشاب الجبلي في تلك الأيام . وكان رقصهم الدبكة على (البادل) أو على (دلعونه) وكان هو شيخ الدبكة

وكان الحب قد ولد في نفسيهما ، فكانا يجلسان على قلة على شفير الوادي ، يرعيان هذا الحب الوليد ، ويدعان القطيع يرعى بنفسه ، وكان لها عنده مثل الذي له عندها ، فما الذي فرق بينهما ؟ أهو المال أم الدسائس أم قد زوجوها من غيره . أم ماذا ، من يحفظ قصتهما يا أهل بيروت ؟

وكيف عاشت من بعده ، وكيف عاش من بعدها ؟

* * *

أم كان متكئاً في زورقه ، يرقب الشمس وهي في موقف الوداع صفراء شاحبة ، لا يحفل بها أحد ممن كان في الميناء ، لأن هموم العمل لم تدع في قلوبهم مكاناً للشعر . فأيقظه من غفوة التأمل أسرة تريد أن تجول في البحر جولة في الزورق ... هنالك رآها ، واستقر حبها في قلبه ، ولم يكن بذي صاحبة ولا ولد ، فهام بها هياماً وقلب الأرض يفتش عنها علّه يحظى منها بنظرة فلم يلقها . فعاش بقية عمره يتجرع غصص الألم المكتوم ، حتى مات حيث لقيها ، ودفن حيث مات

وهذا الحب هو النار التي تأكل القلب ... وما قرأت مرة قصة القاضي ابن خلكان إلا رحمته مما يقاسي . كان يبيت وحده

(١) الطرف أو الطرائف هي ما يسمى في لسان التجارة وفي لغة العامة (نوفوته nouveautés فياحبذا لو استبدلوها بها

في المدرسة العادلية الكبرى (دار المجمع العلمي بدمشق) فإذا أراد أن ينام تمثلت له صورة المحبوب، فغلى دمه في عروقه وفار، فأقبل يدور حول البركة ويقول:

أنا والله هالك   آيس من سلامتي
أو أرى القامة التي   قد أقامت قيامتي

حتى يؤذن الفجر، وكان يحب من ليس فوقه إلا السلطان

قلت: ومن هنا ما تجدون من الذوق في ترتيب كتابه (وفيات الأعيان) وما يختار فيه من الشعر!

* * *

أم أن هذا قبرها هي، يقوم على الشاطئ، على مسرح المأساة التي طالما مثلت عليه وأعيدت

هنا كانت تقوم ترقب عودته من المهجر من أمريكا، تذكر أبداً كيف ودعته بالدموع الغزار، وودعها بزفرة وعناق، ومنّاها الغنى والجاه والمودة القريبة؛ وانقضت الأيام وكرت الشهور ولا حس ولا خبر... والفتاة ترقب وتنظر وقد عافت عيشها، وجفت أهلها، واختصرت دنياها كلها، فكانت هذه الصخرة الصلعاء التي شهدت مبدأ آلامها وتأمل أن تشهد نهايتها، تظن من حبها وتذكرها أن السفينة لا تزال قريبة منها، وأن الحبيب يلوح لها بمنديله... وبينها وبين الحبيب بحار ولجج، وأيام وليال، والحبيب قد سلاها ونسيها، وطمست صورتها في نفسه أمواج الثروة واللذة والدنيا العظيمة في نيويورك حتى محتها...

فماتت شوقاً إليه، وأسفاً عليه

أم هي لم تمت وإنما شهدت عودته، فإذا هو قد عاد رجلاً غير الذي ذهب، لم يبق فيه من ابن القرية إلا كما يبقى من ندى الصباح تحت شمس الهاجرة، لا زيه زيه، ولا لسانه لسانه، فأعرض عنها وازدراها. ورأت إلى جانبه فتاة من بنات (باي باي). فخولطت وعادت إلى صخرتها تنتظر عودة من ليس يعود، حتى وافاها الأجل، فدفنت مكانها؟

أم هو قبر عاشق ماتت حبيبته كما ماتت ليلى، فعاش بعدها كما يعيش كل حبيب يائس

أم كانت قصة هذا القبر شيئاً آخر، فمن يعرف هذا الشيء؟

من يهتم بشهيد من شهداء الغرام؟ من يعنى بضحية من ضحايا العواطف؟ من يبكي للمحب المجهول، ويقف على قبره وقوف الناس على قبر الجندي المجهول؟

يا رحمتا للعاشقين! حيهم بائس، وميتهم منسي، وحديثهم ضائع...

يا رحمتا للعاشقين! لا يقام لشهيدهم قبر، وإن أقيم له لم يقف عليه أحد، ولم يحفظ تاريخه

ويا ضيعة هذا الكنز الأدبي العظيم، هذه الدنيا من العواطف لم يبق منها إلا ما أودع ديوان (العتابا) فمن يعنى بجمع هذا الديوان ونشره في كتاب؟

ألم تعلموا بعد أن في هذه العتابا من الصور والمعاني ما لا يملك بعضه غزل شعراء العرب كلهم مجتمعاً؟ فمن يهتم به؟ ومتى يأخذ الشعراء هذه الصور والمعاني فيودعونها الشعر الفصيح؟

* * *

وبعد فيا أهل بيروت

إذا جزتم بهذا القبر التائه، فقفوا عليه كما تقفون على قبر الجندي المجهول؛ وقدسوا فيه المحبة كما تقدسون هنالك البغض، وكرموا فيه الحياة، فالحياة الحب والحب الحياة، واجعلوه تمثال العاطفة، فالعاطفة فوق العقل، والإنسان إنسان بالعواطف لا بالتفكير...

لا تحقروا العاطفة، ولا تزدروا القلوب، فإن القلب منزل أقدس شيئين في الوجود: الإيمان والحب. وحسب العقل جوداً وعجزاً أنه لا يستطيع أن يفهم الحب ولا يدرك الإيمان. وحسب العاطفة كرماً ونبلاً، أن من ضروبها حب الوطن والوفاء، والإحسان والرحمة، وذلك ما يميز الإنسان من سائر الحيوان...

ونحن اليوم في حاجة إلى الإيمان بالعاطفة الخيّرة، فلنجعل الحب العفيف وسيلة إليها، ولنتخذ منه سلاحاً نحارب به الفسوق والدعارة، والغلظة والوحشية، ولنستكمل به إنسانيتنا فمن لم يعرف الحب لم يكن له قلب

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجراً من يابس الصخر جلمداً

علي الطنطاوي

إلى الدكتور زكى مبارك

للأستاذ محمود غنيم

سيدى الدكتور :

طالما ترددت فى الكتابة إليك لتهيبى من قلمك ، وأخيراً وجدتنى مدفوعاً إلى ما أتوق بعامل خفى ذى مصدر مجهول

ولست من أولئك الكلفين بالمصاولة والمجادلة ولا ممن يرغبون فى مهاجمتك حباً فى ثورتك أو إرضاء لغريزتك التى حار فى مرادها — على ما أعتقد — الكثير من زملائك : فمن حاول منهم الارتقاء بك أحجم عن ذلك مخافة وصفك له بالملق والمصانعة ، ومن حدثه نفسه بنقد خطوة من خطواتك لدغته فى غير ما هوادة ولا رفق ، ومن سكت عن ذكرك بخير أو بشر وصفته بالجمود والخمول والنوم

وقد استخلصت من تتبعى لك واقتفائى لأثرك : أنك أخطر مخلوق فى المحيط الأدبى ؛ فلم ينج من سنان قلمك ـ على ما أظن إلا نسبة ضئيلة من أدباء هذا العصر سواء فى ذلك من يضمر لك الخير ومن يتمنى لك المكروه ، كما تساوى أمامك من تدين له بصقل لسانك وسلامة تفكيرك ، ومن شرب من منهلك واستظل بظل ثقافتك

رأيتك يا دكتور تطل على ذلك الجمع الزاخر من علو شاهق غير عابئ ولا مكترث بما قد يكون مخبأ لك من سقطة أو سقطات تهوى بك من ذلك العلو إلى هوة تجر عليك شماتة الشامتين، وكلهم بالمرصاد . ولست بصدد مناقشة آرائك ومعتقداتك وموقعها من آراء ومعتقدات من تتصدى لهم أو يتصدون لك، أو حيال الحكم لك أو عليهم، فقد تكون عادلاً فى كل ما قلت، وقد يكونون محقين فى ذكر ما يدعون، وبالعكس ؛ ولكنى أمام موقفك من أعصابك التى تطالبك فى إلحاح بإعطائها برنامجاً منظماً يخدم نواحى لا يناقض بعضها بعضاً ، وتطالبك كذلك بالترفق حين الزج بها فى تيارات مضطربة الاتجاهات

وعلى هامش نقدى لأعصابك يا دكتور أقرر أن الأدب مدين لثورة تلك الأعصاب بالشيء الكثير وبدرر غاليات تزن ثقل ما لك من خصوم فى هذا البلد . وإذا كانت تلك الثورات واحدة من اثنتين من تجاربك فى ازدهار أدبك فأنا أهنئك مغتبطاً بنجاح تلك التجربة وأطالبك فى رفق بإجراء التجربة الأخرى : نريد أن نقرأك يا دكتور هادئاً كالنيل فى غير إبان الفيضان ، وكالغصن عند سكون الريح ، وكالوردة قبل أن تهاجمها أشعة الشمس وأعين الرقباء

لو كنت يا دكتور من أشرار الأدباء — إن كان بين الأدباء شرير — أو كنت من أدباء الشرور (إن وجد بين ذخائر الأدب شر) لما ترددنا لحظة من يوم أن ظهرت على المسرح الأدبى فى الحكم عليك بما فيك ، وقدمنا لك حسابك وأسلمناك لما تقوم به من صراع ، ووقفنا فى صفوف المتفرجين ، أو قبعنا فى زاوية بمنأى عنك بعيدين عما يصب عليك . ولكنك رغم إقلاقك الناعين من مضاجعهم بصوتك المدوى نلمس إخلاصك ونؤمن برقة إحساسك

نريد أن نحكم عليك يا دكتور بعد أن تجرى التجربة الباقية وبعد أن اجتزت التجربة الأولى بكل نجاح

وإلا فاجعل لنا يوماً من نفسك على صفحات « الرسالة » تحدثنا فيه بالصراحة التى نعدها من أهم مقوماتك — عن زكى مبارك كما يعرفه زكى مبارك ، شارحاً لنا وجهتك فى الحياة الأدبية التى نعتقد أنك تعيش فيها منفرداً ، فأنت أجدر من يتحدث عن نوايا النفوس

المخلص

محمود غنيم

(إدكو)

سيجموند فرويد

العالم النفسانى الكبير

للأستاذ صديق شيبوب

- ٢ -

زاول « فرويد » بعد عودته من فرنسا مهنة لطب بمدينة فينا وانصرف إليها يمارسها بالعناية التى انطبعت عليه نفسه والتى وصفناها فى المقال الماضى

وكان قد عرف قبل رحلته إلى باريس طبيباً يدعى « جوزيف بروير » فانضم إليه بعد أوبته واشتركا فى مزاولة مهنتهما

تحدث هذا الطبيب إلى « فرويد » قبيل سفره عن فتاة هستيرية أصيبت بالشلل وغموض القوى الواعية ، وروى له أنه لاحظ أن حالة الفتاة تتحسن كلما استطاعت التحدث ملياً عن نفسها . وكان لهذا السبب يصغى فى صبر لحديثها عندما تترك فيه المجال لواعجها الشعورية ، وأنه لاحظ أن اعترافات الفتاة متقطعة ، وأنها تخفى عن قصد أشياء يظهر أن لها فى حياتها دوراً هاماً ، وكانت من مسببات علتها . فخطر له أن يستعمل التنويم المغناطيسى على أمل أنها ، وهى معدومة الإرادة فى حالة السبات ، تبوح بما تخفيه فى يقظتها . وهكذا استطاع أن يعرف من الفتاة أنها بينما كانت تعنى بوالدها المريض أحست فى نفسها بمشاعر كبتتها لأسباب أخلاقية فاتخذت هذه المشاعر شكلاً آخر برز فى أعراض مرضها . وكانت أعراض الهستيريا تزول كلما باحت بحقيقة الأمر

لم يجد « بروير » فى هذه الفتاة غير حادث مرضى استطاع كشف الستار عنه ومعالجته . أما « فرويد » فشعر بغريزته العميقة أن الأمر أشد خطراً مما توهمه صاحبه ، وانتهى من ذلك إلى هذه الحقيقة وهى أن « قوى النفس تتحول عن مراكزها » وأنه يجب أن يوجد فى العقل غير الواعى قوة عاملة تحول الشعور عن مجراه الطبيعى وتقذف به إلى مظاهر نفسية أو طبيعية

ولما كان هذا العارض الذى كشف عنه « بروير » يؤيد الاختبارات التى شاهدها « فرويد » بباريس ويبرزها فى صورة جديدة ، استقر رأى الزميلين على متابعة أبحاثهما التى قصدا إليها فى طريق مظلمة وعرة . وهكذا وضعا كتاب « العمل النفسى فى عوارض الهستيريا » الذى ظهر سنة ١٨٩٣ و « رسالة فى الهستيريا » ظهرت سنة ١٨٩٥ فكشفا عن حقيقة هذا الداء فى كتابيهما وأبرزاه تحت ضوء جديد

قررا للمرة الأولى فى علم الطب أن الهستيريا ليست من علل الجسم الأصيلة ولكنها اضطراب ناتج عن صراع داخلى لا يشعر به العليل نفسه وأن تحت ضغط هذا الصراع تظهر عوارض هذا الداء ، وهو انحراف مرضى

تنتج إذن الاضطرابات النفسية عن كبت العواطف كما تنتج الحمى عن التهاب داخلى ، وكما تهبط درجة حرارة المحموم عند ما يجد الالتهاب منفذاً ، كذلك تزول أعراض الهستيريا عند ما يستطاع التفريج عن العواطف المكبوتة والسير بها فى السبل الطبيعية حيث تتركز القوى الشعورية منبسطة فى حرية بعد أن كانت ملتوية أو بعبارة أخرى مخنوقة ، وكان هذا الخنق سبباً لاستمرار عوارض الداء »

على أن الزميلين ، « فرويد » و « بروير » انفصلا بعد لأى لأنهما كانا قد وصلا إلى نقطة لم يتفقا عليها . كان « بروير » طبيباً يخشى خطر الاعتماد المطلق على علم النفس ويصرف همه إلى وسائل معالجة الهستيريا والشفاء من أعراضها ، بينما صار « فرويد » الذى اكتشف فى مواهبه ميلاً إلى علم النفس مأخوذاً بالعوارض النفسية وبالأسرار التى يكشف عنها تبدل العواطف ، وقد أثار فضوله أن هذه العواطف تكبت فتقوم مقامها عوارض جسمية فاستمر فى البحث حتى بدا له أن هذه الظواهر تصح أساساً للتحليل النفسى ، وأنها تفتح أبواب عالم جديد قائم على العقل غير الواعى ، فوقف حياته منذ ذلك العهد على « درس المناطق غير الواعية فى الحياة والنفس » ، وكان ذلك أساساً لمذهبه الجديد الذى نفصله فيما يلى :

كان علماء النفس قبل « فرويد » يعرفون أن الطاقة النفسية لا تتلاشى كلها فى عمل العقل الواعى ، وأن هناك قوة أخرى خفية تؤثر فى حياتنا وتفكيرنا ، ولكنهم كانوا يجهلون هذه القوة ولا يحاولون إدخال العقل غير الواعى فى محيط العلم والتجربة

كان علم النفس أيامئذ ، أى قبل سنة ١٩٠٠ ، وهو العهد الذى قرر فيه « فرويد » نظرياته ، لا يهتم بالأعراض النفسية إلا بقدر ما تدخل فى دائرة الوعى الواضحة ، فلا تدرس العاطفة إلا إذا ظهرت تماماً ، ولا يعنى بالإرادة إلا إذا أملت مشيئتها فعلاً؛ وهكذا كان علم النفس يستبعد كل الظواهر النفسية التى لا تطفو على سطح الحياة الواعية فى شكل بارز

رأى « فرويد » أن العقل الواعى لا يعد مصدراً لكل عمل نفسى ، وأن العقل غير الواعى ليس طبقة سفلى يختلف عن الأول ويخضع له ؛ وقرر أن كل الأعمال النفسية ناتجة أولاً عن العقل غير الواعى ، أو ما دعوه بالعربية العقل الباطن ، وأن الأعمال التى نعيها لا تختلف عن الأولى ولا تتفوق عليها ، لأن وعيها نتيجة عمل خارجى . ومثل هذا كمثل النور حين يضىء بعض الأشياء ، فهذه الأشياء موجودة وجوداً مادياً ، ولكن النور يجعلنا نراها فليس النور الذى أوجدها لأنها عالقة بالعالم الطبيعى سواء أكانت ظاهرة لتسليط النور عليها ، أم مختفية تحت ستار الظلام حيث نستطيع أن نتعرف باللمس شكلها وحجمها

وهكذا يجد « فرويد » أن « غير الواعى » لا يعنى المجهول أو « غير المستطاع الوصول إليه » ، كما كان يظن العلماء من قبل وقد اعتقدوا أن فى النفس خزاناً مظلماً راكداً أو مستودعاً يحوى المنسيات والمختلفات ، فتستمد الذاكرة منه بين وقت وآخر أشياء بمعاونة العقل الواعى . وكانوا يعتقدون كذلك أن عالم غير الواعى عاطل فى نفسه لا عمل له ولا شأن كأنه حياة انصرم عهدها وماض مدفون لا أثر له فى عواطفنا الحاضرة

أما فرويد ، فقد رأى أن غير الواعى ليس من رواسب النفس بل هو مادتها الأولى ولكنه لا يصل إلى سطحها المستنار بالوعى غير جزء يسير منه . ولا يعنى على بعض أجزائه أنه عقل ميت أو أن لا قوة له ، لأنه فى الحقيقة حى عامل يؤثر فى تفكيرنا وعواطفنا ، ولعله أقوى العوامل فى حياتنا النفسية . وعليه فإنه يخطئ من لا يحسب حساب الإرادة غير الواعية فى كل ما تعمله وتمليه ، لأنه ينفى العنصر الأصيل فى قوانا الداخلية

ليست حياتنا مظهراً حراً للعقل الواعى يسيرها كما يشاء ، وليس عالمنا ملكا لإرادة واعية تسيطر عليه . إن من ظلمات العقل الباطن تنبع الأنوار التى تلقى ضوءها القوى على أعمالنا ، وفى أعماق عالم الغرائز تتألف العواصف التى تسيطر علينا وتغير المجرى الطبيعى للحياة التى كان مقدراً لنا أن نعيشها

تلتقى فى هذه الأعماق المظلمة من طبقات النفس البشرية العواطف التى مرت بالوعى فى حين من الزمان ، ورغبات الطفولة المنسية التى يظن أنها دفنت إلى الأبد ، والمخاوف والأهوال التى قيل إنهـا زالت ومحى أثرها ، وهى جميعها تضطرب حيرى قلقة عطشى إلى الظهور بواسطة الأعصاب

لا يعيش هـذا جميعه فى أعماق النفس فحسب ، بل هناك أيضاً شهوات الأجيال التى انقرضت واحداً بعد واحد صعداً إلى عهد الهمجية ، فتلتقى فيها الذاتية الهمجية بالذاتية المتحضرة وفجأة تتحرك الغرائز الأولية الجامحة فتمزق سجوف المدنية الشفافة وتبرز قوية عنيفة من العالم غير الواعى إلى العالم الواعى وتحاول أن تنال قسطها من العمل الحر ، فيتولد صراع عنيف بين عاطفتنا الأخلاقية المتمدينة وبين غريزة اللذة الهمجية الدفينة فينا . ولا شك أن كل كلمة نتفوه بها ، وكل حركة نأتيها ، مظاهر لهذا الصراع الذى تحاول فيه العاطفة المتمدينة التغلب على غريزة اللذة ، بل إن حياتنا النفسية كلها صراع دائم مؤثر بين الإرادة الواعية وغير الواعية ، وبين العقل المسؤول والغريزة غير المسؤولة

وقد شاء « فرويد » من هـذا جميعه أن يفهم كل إنسان معنى اندفاعاته غير الواعية ، لأنه ليس من المستطاع معرفة عواطف الإنسان إلا إذا أنيرت طبقات نفسه المظلمة ، ولا يعرف أسباب اضطراباته إلا إذا انحدر إلى أعمـاق نفسه ، وليست مهمة العالم

ولـــز في كلمة موجزة

للأديب محمد جمال الدين أبو رية

حياته :

في مقاطعه كنت بانجلترا سنة ١٨٦٦ ، خرج ذلك الأديب النابغ ، ذلك العقل الجبار ، ليظهر للعالم أنموذجاً صحيحاً للأدب الفني ، للقريحة الممتازة القليلة النظير

حصل ولز الأديب على شهادة B. Sc. في العلم في سن مبكرة ، ولكن أبى القدر إلا أن يذوق ذلك الأديب من تجاربه القاسية ، فساءت حال ولز المادية ، فاضطر أن يشتغل في محل للأقمشة ، ثم اشتغل بالصيدلة ، ثم اشتغل بالتدريس . فكادت كل هذه التجارب تودي بحياته ، إلا أنه اشتغل أخيراً بالتأليف والصحافة محافظة على حياته . وما من فنان أو عظيم بلغ أوج عظمته إلا وقد ذاق الأمرين .

لم يكن ولز كثيره من الأدباء ، إذ كانت له نظرية فريدة ، رفعته إلى المرتبة الأولى من الأدباء ، فهو يصل الماضي بالحاضر متغلغلاً في أعماق المستقبل

كانت قصص ولز الأدبية ، قصيرة وطويلة ، موضوعاتها متنوعة ، فقد عالج أساليب الحياة التي وصفها وصفاً دقيقاً ، وكتب في الحب والحياة والموت والموضوعات العلمية

ولقد كانت تتخلل كتابات ولز قطع فنية ، يكتبها بمداد من خياله الرائع الجميل مثل قوله :

« لقد كانت الزهرات تتدفق وتتعانق كألحان الموسيقى العذبة ، وترفع إليّ عيوناً كعيون الأطفال ، وسرى إلى أذني غناء سحري من فم الزهر والأغصان والأوراق ، وفجأة سمعت من أعماقها أغرودة طائر وخفق جناح مرتاع ... الخ »

كان من أهم مميزات ذلك الأديب الفذ . . . صدق حدسه عن المستقبل ، حتى وصفه أدباء فرنسا في ذلك الحين بأنه « رجل الأحلام » ووصفوا أحاديثه بأنها « أضواء تخطف الأبصار »

أغراضه :

١ — اهتم ولز بالفرد ، وأراد أن ينزهه عن التحبب إلى من يعلو عنه مرتبة وينزهه عن التسخير فيقول : « وما الأهرام ، وما تلك الشيدات الرومانية العظيمة إلا بيد الفرد المستعبد المسكين » .

٢ — ترى أن ويلز غاضب من الحكومات ، غاضب من الزعماء ، غاضب من الساسة ، لأنه يرى أن الزعيم لا يصل إلى المراتب العالية إلا بواسطة الفرد وإرضائه (رشوته) . فهم يجتمعون ويتكلمون ويأدبون المآدب ، كل ذلك لغرض واحد هو الوصول إلى الحكم ثم الاستبداد وحب الذات

٣ — يريد ولز أن تنتهي تلك الحروب وتخلق وحدة اقتصادية كبرى تشمل الدنيا ، ووحدة مالية تحفظ العالم من الخراب والدمار ثم يرجع ولز فيبشرنا بالرخاء والرغد في المستقبل فيصيح قائلاً :

(إذن فاعلموا أني متفائل أرى الفجر يقترب ، وأرى البشائر في حواشي الأفق)

ألا ترى بعد ذلك أن ولز ذلك الأديب يستحق بعض وقتك في قراءة تاريخه وكتبه .

(المنصورة) محمد جمال الدين أبو رية

النفساني أن يكشف للانسان عما يعيه ، كما أن الطبيب لا يستطيع أن يعالج المريض إذا جهل حقيقة عقله الباطن

ولكن كيف السبيل إلى الوصول إلى أعماق النفس المجهولة ؟ يعتقد « فرويد » أن العقل الباطن يعبر عن نفسه بإشارات ورموز ، وأن على من يريد الكشف عن أسراره أن يتعلم لغته . وقد وضع « فرويد » أصول هذه اللغة على الطريقة التي جرى عليها علماء الآثار المصرية حين كشفوا عن اللغة الهيروغليفية . فقد أخذ يبحث إشارة بعد إشارة ورمزاً بعد رمز حتى انتهى إلى تدوين لغة العقل الباطن ووضع قواعدها . وهكذا استطاع أن يقيم لعلم النفس أسساً جديدة على طريقة علمية ، وأن يكشف عن عالم مجهول .

(البحث صلة) صديق شيبوب

الى معالي وزير المعارف

التعليم الزراعي

- ٣ -

« هذا الفلاح المزيف لا يصلحه تنظيم قريته ولا تجميل داره ؛ إنما يصلحه تربية ذوقه وإرهاف حسه . فإن صاحب الذوق يبنى الدار الجميلة ويخط الحديقة البهيجة ؛ أما فاقده فخليق به أن يجعل القصر زريبة والبستان مزبلة »

(الزيات)

ثانياً : المدارس المتوسطة

الآن أطوى صفحة المكتب الزراعي وإنه ليروعني أن يعيش هذا الفرع من التعليم الزراعي خمس سنوات لا يحس به جُلُّ مَنْ يمتّون أنفسهم بالبحث في فروع التعليم ، وإن كثيراً ممن اشتغلوا بالتعليم الزراعي لا يعرفون عن المكتب الزراعي إلا قطرات لا تبل غلة . ولقد سألني صديق من ذوي الرأي والمكانة في دهشة : « وماذا عسى أن يكون المكتب الزراعي ؟ » قلت : « هذا نوع من التعليم أسدلت عليه سجف كثيفة خشية الفضيحة »

وبعد فلا عجب إن امتد الزمن بالتعليم الزراعي خمساً وعشرين سنة لا يفيق من غفوته ولا يتخفف من ثقله ، فهو لُقًى في ناحية من الوزارة لا يستشعر وجوده أحد ، ولا يجد هو من يهتك عنه أستاره ليتكشف أمام الملأ في غير تمويه ولا زَيْف . وأنا حين أجرّد القلم ليرفع صوت التعليم الزراعي وينشر شكاته على أعين أولي الأمر لا أبتغي سوى كلمة الإنصاف أول قول الحق

النظام و « فوضى النظام »

لا ريب فالطالب الزراعي خُلِقَ شاء هو ، أو شاء له القدر ، أن يتحلل من أثقال المدرسة ليقضي سنوات في مدرسة ليست هي في رأيه مدرسة ولكنها بنض مُتع الحياة ؛ وفي خاطره أنه سيطرح نصب الاستذكار وكدّ المطالعة وعناء الدرس ... سيطرحها جميعاً من وراء ظهره ، لأنه سيكون فلاحاً نظيفاً يغدو إلى الحقل ويروح إلى المدرسة ينعم بالهواء الطلق ويمرح في الفضاء المنفسح ، وينشق الحرية اللانهائية ؛ يأكل وينام ويلعب ويهدأ متى شاء وأنى أراد ؛ ثم هو بعد ذلك لا يستشعر بأساء الاختبار، ولا شدة الامتحان ، ولا غلظة الدرس ، ولا جفاء المدرس ... ثلاث سنوات تمر مرَّ السحاب ، فإذا هو رجل يحمل بين يديه (دبلوماً) فتفتح أمامه مغاليق الحياة، وتهش له مصالح الحكومة!

يا ما أحلى هذه الأحلام حين تطيف بخيال الفتى وهو غِرٌّ قد وقفت به همته عن أن يبلغ مبلغ الرجال ، أو أعجزته الوسيلة عن أن يسمو إلى مراتب التعليم العليا ، أو ضاقت به فرج التفكير عن أن يصل إلى الغاية !

هـذا هو الطالب الزراعي ، وإن نزوات الشباب لتتوثب في رأسه توحي إليه بأنه يوشك أن يكون رجلاً يعرف كل شيء في حين أنه يخرج من مدرسته لا يعي شيئاً ، وهو أجهل ما يكون في الزراعة التي وقف عليها ثلاث سنوات من عمره

ويتمير الطالب في خضم هذه اللجة فتصفعه الحقيقة المرة صفعة تطير لها هذه الرؤى الجميلة بعد أن يكون قد استشعر لذتها حيناً من الزمان ؛ فتعود إليه نكسة اليأس حين يرى أن المدرسة التي فزع منها هي المدرسة التي زُجَّ بنفسه فيها ؛ فهو هنا سيقرأ ويكتب ويطالع ويجلس على مقعد في فصل يسيطر عليه مدرس ، ثم يتذوق مرارة الدرس ولذع الامتحان ونكد الرسوب و ... فإذا هو هو الطالب الذي أخفق ويخفق مرات ومرات ، الطالب الذي حطمته السنون العجاف ، الطالب الذي جاء ليموت في التعليم الزراعي أو يموت به التعليم الزراعي

وليت كل طلاب المدرسة من بيئة واحدة وثقافة واحدة ووسط واحد ، إذن لاستطاع المدرس أن يوائم بين نوازعهم ورغباتهم ، أو أن يجد الحيلة فينفذ إلى عقولهم وأخلاقهم . ولكن هذا الجمع — وا أسفا — خليط لا يمت الأول إلى الآخر بسبب ؛ فالفصل الواحد يضم بين جدرانه أشتاتاً من الطلبة تضطرب في غير ترابط ولا وفاق : فالحجرة الواحدة تجمع بين الطالب في الخامسة عشرة والطالب في الخامسة والعشرين ، وتؤلف بين من نال شهادة إتمام الدراسة الابتدائية هذا العام وبين من قضى سنوات ثلاثاً في السنة الرابعة الثانوية ، وتربط بين من هو ما يزال في فتوة العقل ومن نخر اليأس حشاشة قلبه ؛ وتلتقي في ركن الفتى الريفي الذي رأى النيط وجلس إلى الفلاح ، وفي الركن الآخر الشاب الذي درج في المدينة وشب وترعرع ونما واشتد في حضن الحضارة الرفيق لا تربطه بالريف آصرة ... وهكذا يصطدم المرء

— أول ما يتغلغل في المدارس الزراعية المتوسطة — بهذا الخلل الذي أسميه في غير تحرج « فوضى النظام »

و « فوضى النظام » تتسلل إلى المدرسة منذ أول يوم من أيام السنة الدراسية ، حين تفتح المدرسة أبوابها على مصاريعها ، لا تدفع طالباً ولا ترفض طلباً ؛ ولقد تظرف معي صديق فقال : « لعل كل هم مدارس الزراعة أن تستنفد ما عندها من استمارات الدخول طلباً للربح ، كدأبها في منتجاتها ومحاصيلها ، ولا عليها بعد ذلك ! » وقال آخر : « وإنه ليتراءى لي لو أن (عربجياً) تقدم إلى مدرسة زراعية لقبلته بين طلبتها في غير غضاضة ، ولا أنفة ! » هذه عبارات كانت تحز في نفسي وتؤج في صدري ، لأن فيها التهكم اللاذع والسخرية المرة . وليت شعري أي مدرسة في العالم تفتح أبوابها لكل من كان (أفنديا) يتأنق في البذلة والطربوش ؟

وتدخل « فوضى النظام » المدرسة فتتشعب لتغمر القسم الداخلي والقسم الخارجي ، والصلة بين المدرس والطالب ، وبين المدرس والناظر ، وبين المدرسة وأولياء أمور الطلبة ، و ... ثم إلى بيت المدرسين

إن الاضطراب الذي رأينا — من قبل — بين جدران الفصل نشعر به أيضاً في أركان (العنبر) في القسم الداخلي ، فهناك منزلة العلم يمثلها المدرس وتلامذته على مسرح الفصل حين يجهد نفسه ليتغلغل إلى عقول التلاميذ ، فلا يجد السبيل ، وقد ضرب بينه وبينهم بسور لا يستطيع أن يظهره إلا لماماً ؛ وهنا منزلة الأخلاق يمثلها التلاميذ وحدهم على مسرح (العنبر) ، وإدارة المدرسة إما لاهية وإما عاجزة ، ولها عذر ؛ فهي لا تستطيع أن تسدل حجاباً بين الطالب الكبير والطالب الصغير وهما يقضيان عمر اليوم جنباً إلى جنب ، صديقين في الفصل وفي الحقل ، ثم ... ثم في (العنبر) ، والكبير يوسوس للصغير ويزين له فيندفع فتنفرط أخلاقه فيهوى ، وينفض الساهر عن أشياء تصم جبين العلم ، لأن كلا منهما ينطلق يريد أن يشبع رغباته الشريرة على حين قد غفا الرقيب ...

وهكذا نجد أثر التباين في السن والثقافة واضحاً في هذه المدارس ، ولا سيما في القسم الداخلي . ومن الغريب أن النظام الداخلي يوشك أن يعم التعليم الزراعي المتوسط ، في حين أنه قد ثبت فساده في التعليم العام

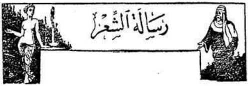
لهذا جاء ناظر المدرسة وإن أوصاله لترعد من شدة الخوف والفَرَق ... جاء ليحول بين الطالب والمدرس ، وبين المدرس وولي أمر الطالب ، يبذل في ذلك جهد الطاقة ؛ ثم هو يرى أشرف مبادئ التربية الحديثة بأقذع الهجاء وأقسى الألفاظ

هذا الداء ... داء اختلاط الشر بالخير ، حري به أن يدفع أولي الأمر إلى أن يجتثوا أصول الشر ليذروا الخير وحده ينمو ويسمو في هذا الوسط . غير أن شيئاً في المدارس المتوسطة يقوي الشر وحده فيضوي له الخير ، هـذا هو داء (إعادة القيد) وهو أيضاً أثر من آثار (فوضى النظام)

وداء (إعادة القيد) هذا هو نظام احتال به الرئيس مرة ليعيد طالباً إلى مكانه من مدرسته بعد أن رسب سنتين في فرقته فرفت ؛ فأصبح قانوناً . وهذا الضرب من الطلبة هم الشر المحض الذي يتخلل أثناء المدرسة ، وهم الفئة الباغية التي يجب أن تستأصل من هذه المدارس ليجد الخير سبيله فيها

وانسربت (فوضى النظام) إلى (بيت المدرسين) ، وهو بيت خلقته يد الإصلاح ليسكنه جماعة من المدرسين ليكونوا إلى جانب تلاميذهم ، يراقبونهم ويهيئون لهم وسطاً علمياً أدبياً يستروحون من خلاله نسمات الهداية والرشاد ؛ غير أن الانتكاس الذي أرادهم عليه الرئيس نفث في هذا البيت معنى آخر ، فأصبح خلوة المدرس ، وحاجزاً بينه وبين تلامذته ؛ أو هو كبعض (تكايا) العهد البائد يسكن فيه المدرس ويأكل ويستمتع بالراحة والهدوء ، لا يشعر بتكاليف الحياة ولا مضض العيش ، دون أن يدفع من ثمن ذلك في الشهر إلا دريهمات لا تكفي غيره سوى يوم أو بعض يوم ، وهـذا البيت نفسه بث في المدرس روح الكسل والتراخي والتواكل والحرص ، فما فيه من نشاط جسمي ولا عقلي ، وما فيه من فرحة للنفس ولا لذة للقلب ؛ وإذا قدر لإنسان أن يرقى إلى (بيت المدرسين) ألفى هناك شراذم من المدرسين يزجون الوقت بين الهذر والمزاح والنرد والورق و ... ثم لا يجد سوى بقايا مذكرات قديمة وأوراق متناثرة وجرائد ومجلات هزلية ، أشياء مما تنحط بالعقل والتفكير ، ثم لا يعثر على كتاب أدب ولا رسالة في علم ولا نشرة زراعية ولا بحث في موضوع ولا ... ولا ... مما يرقى بعقل المدرس ويفيد الطالب

« للموضوع تكملة » (*)



الهــــوى يغنى

للأستاذ أنور العطار

يا فؤادى لولاكَ ما هَدَّنى الشَّجْـ ـوُ ولا ذُبتُ حسرةً وشقاءَ
كنتَ تشكو وكنتُ آسَى لشكوا ـكَ وأستنفـــدُ الدموعَ بُكاءَ
وأُسلِّيكَ ما وَدِدتَ التسلى وأُعزّيكَ ما حَبَبتَ العزاءَ
أرقأُ الدمعَ خيرٌ مَن رَقأَ الدَّمْـ ـعَ وأطوي الجوى وأقصِي الداءَ

* * *

يا فؤادى لولاكَ ما بتُّ ليلى ساهِدًا أُضجِرُ النجومَ اشتكاءَ
أتنزّى أسًى وأنتَ من الوَجْـ ـدِ تَعُبُّ الظِّلالَ والأنداءَ
وترى الليلَ خيمةً للتمنّى تُلهمُ الشعرَ والهوى والغناءَ
هاهنا يرقدُ الهيامُ كئيبًا مَضّهُ اليأسُ فارتمى إعياءَ
هاهنا تستريحُ دُنيا من الأشْـ ـواقِ تُغرى الألّافَ والشعراءَ
هاهنا تَهدأُ المُنى غيرَ نجوى تغمرُ الروحَ هاجسًا ونِداءَ

* * *

الهوى جدولٌ بظلٍّ يُغنّى يتنـــدّى بشاشةً ورُواءَ
مَن يُسايرْ ضِفافَهُ الخُضرَ يهتَـ ـزّ مِراحًا ويستعِرْ خُيلاءَ
ويَعِبْ فى رَغادةِ الفرحِ السَّمْـ ـحِ ويَنشرَ الحياةَ والأحياءَ

* * *

ذلكَ الجدولُ الشهىُّ المُوَشّى حُلُمٌ يُلهِبُ القلوبَ اشتهاءَ
رفَّ بينَ المروجِ والقلبُ ظمآ نُ يُناجى الأمواهَ والأفياءَ
نضّرَ العُمرَ فى خيالى وهزَّ الْـ ـكونَ بِشرًا وزيَّنَ الأشياءَ

أنور العطار

صفحات من الحب العظيم

الخلـــــوة الأولى

فى أرض الجزيرة على النيل

للأستاذ محمود الشرقاوى

فى خلوةٍ كان الهوى بيننا وكانت النجوى وكانت دموع
وكانت الشكوى وكان الجوى وخافقٌ يضرب بين الضلوع

* * *

سقيْتِنى من روحك الطاهر عذبَ هوًى كنتُ إليه ظمى
رويت فيـــه ظمئى وانتشى قلبىَ منه وجرى فى دمى

* * *

شكا كلانا ما به وانثنى يستمع الشكوى إلى جاره
يستمع الشكوى وفى قلبه دنيا من الوجد ومن ناره

* * *

ومرّت الساعات تمدو إلى حيث تهاوى فى قرار سحيق
ونحـــن فى خلوتنا نشتهى أن ينقضى الدهر وما إن نفيق

* * *

حتى أتت ساعتنا للوداع ثم وقفنا موقفاً موجعا
مددْت يمنـــاك وأبقيْتها فى قبضتى ثم ضممْتنا معا

* * *

وقلت لى : كيف سأبقى إلى أن يصبح الصبح ؟ أما نتّقى !
يا حسرتا لى ! نتوالى الليال لا نشتكى فيها ولا نلتقى !

* * *

بالله قل لى كيف كان الهوى وكنت بعدى ياطويل الغياب
وكيف تُقضَى ليلةٌ فى الشتاء بغير شكوى فى الهوى أو عتاب

* * *

وكيف بالليـــل تولّى ولا تسمع فيه زفرةً من شجونى
وكيف بالأيام تمضى ولا تشهد فيها دمعةً من عيونى

يا قاسى القلب ، أما تشتهى أن ترجع الأيام تلك العهود ؟
أين الوفا منك وميثاقه وأين منه اليوم هذا الجحود

***

أين ليالينا وأيامنا ما بين شكوى فى الهوى أو عتاب
إذ نتلاقى فى الضحى والمسا ونشتكى فى الصبح مر الغياب

***

طال ندائى لك فى خلوتى وطال حرماني وطال العذاب
من بعد أنسى منك في وحدتى يوحشنى بعدك بين الصحاب

***

هل نسترجع عهدًا مضى كنت لقلبى فيه دنيا المنى
هل نسعد بكؤوس الرضى من بعد ما ذقنا كؤوس الضنى

***

هل نفرح بعد هذا النوى ونسدل الستر على ما مضى
أسقيك من روحى صرف الهوى ونملأ الكاس بخمر الرضى

***

هيهات ! لا قلبى له مسعد ولا حبيبٌ قربه يرتجى
بل أمنيات أشتهى أن تكون أشقيت عمرى وهى ليست تجى

محمود الشرقاوى

نشيد

لك روحي ...

للأستاذ أحمد فتحى مرسى

لكِ رُوحى فاسلمى مصرُ وسودى وابلغى بالجِدِّ هاماتِ الوُجود
من صُعودٍ للسَّما نحو صُعودِ وَيَقِينٍ بالعُلا بعدَ يَقِينْ

***

لكِ صَدْرِى فاتَّقِى سَهمَ المَنُونِ وَيَمِينِى إنْ وَنَتْ شُلَّتْ يَمِينِى
إنْ عدَا العَادِى على الوادِى الأمينِ أوْرَدَتْهُ القَـبْرَ أيْدٍ لاَ تَلِينْ

***

إنني نَسْلُ جُـدُودٍ خَالِدِينَا مَلأُوا الدُّنْيَا جُنُودًا وسَفِينَا
لاَ تَقُلْ ما كانَ منهمْ لَنْ يَكُونَا كلُّ ما هَوَّنْتَ من صَعْبٍ يَهُونْ

***

صُلْبٌ فِي حقِّ أوْطَانِى فَإنْ لاَنَت الأحْجَارُ فيها لَمْ ألِنْ
قَدْ سَقَانِى نيلُهَا ، إن لم أكُنْ حَامِىَ النيلِ فمَنْ غَيْرِي يَكُونْ ؟

سَلِمَتْ مصرُ وَسَادَتْ فِي الحَيَاهْ
فِي عُلاَ « الفَارُوقِ » تعلو وَحِمَاهْ
جَلَّ رَبِّى مَنْ رَعَاهَا وَرَعَاهْ
أنا فى الرَّوْعِ فِدَاهَا وفِدَاهْ

أيُّها الجُنْدِىُّ قُمْ وافْدِ الحِمَى وابْلُغَنْ بالنيلِ أسبابَ السَّما
لا تَقُلْ : أعجَزُ عنها ، إنما خلَقَ العجزَ خيالُ العاجزِينْ
هذه الرايةُ فى أوْجِ العَلاءِ أنا إن جُدتُ فِدَاها بِدمائى
خَـلَّدتنى كلُّ حىٍّ للفَنَاءِ ليْسَ يبقَى غيرُ ذِكْرَى الخالدِين

***

يا ثلاثًا هُنَّ خيرُ الأنجُمِ أنتِ : رُوحى ، وحياتى ، ودَمى
خضْرَةُ الجنَّةِ فى ذا العَـلَمِ وبياضُ الصُّبحِ والحقُّ المبين

***

عشتَ يا فاروقُ والدنيا فِدَاكْ وعُلاَ الأنجمِ بَعْضٌ من عُلاكْ
جَنَّةٌ للنيلِ ما شادتْ يَداكْ فاعمُروها بسـلامٍ آمنين

سَلِمَتْ مصرُ وسادتْ فى الحياهْ
فى عُلا « الفاروقِ » تعلو وحِمَاهْ
جَلَّ رَبِّى مَنْ رَعاها ورَعاهْ
أنا فى الرَّوْعِ فِدَاها وفِدَاهْ

أحمد فتحى مرسى
المحامى



قصة الفيتامين

الفيتامين المضاد للالتهاب العصبي أو فيتامين البرى برى B_1

للأستاذ عبد اللطيف حسن الشامى

— ٥ —

زال كل شك على التقريب لدى من بقى متردداً فى احتواء قشرة الأرز الرقيقة على هذه المادة الحيوية العجيبة المضادة للالتهاب العصبى ، وخاصة بعد ما عزز اليابانيون هذه النظرية بنتائج قاطعة وقعت فى جيوشهم وبحريتهم إذ كانت هذه تعتمد فى غذائها على الأرز الأبيض المقشور ، وكانت تقدم سنوياً من ضحايا البرى برى من لا حصر لعدده من الرجال حتى بلغت نسبة الضحايا فى بعض السنين أربعين فى المائة من رجال القوات المحاربة مما تأثر به الجيش والبحرية ، ولكن حدث بعد هذا أن أضرب عن طعام الأرز كغذاء رئيسى أساسى وأضيف إليه البطاطس والفواكه والدرنات وخبز الحبوب ، فكانت النتيجة اختفاء مرض البرى برى ، وهذه الخطوة الأخيرة من أهم الخطوات العملية الجديدة التى خطاها البحث وقاوم بها الداء وكسرت بها شوكة المرض ، ولا يلعب الآن هذا المرض إلا دوراً ثانوياً بسيطاً فى تلك البلاد الأسيوية الشرقية التى عرفت الأهمية الصحية لما تحويه قشرة الأرز من المواد الحيوية ، فأحلت الأرز غير المقشور أو نصف المقشور محل الأرز المقشور ، وقد لا يقدر قيمة هذا العمل الأخير أحد مثل الذين رأوا بعيونهم الفعل الوبيل للمرض الذى كان يتخطف الناس ذرافات من الوطنيين وآكلى الأرز بعد أن يهلك أبدانهم ويضنيهم

وربما يكتفى الإنسان فى مثل هذه الأحوال فى البلاد التى تعتمد فى غذائها على الأرز اعتماداً كلياً بسن قانون يمنع تبييض الأرز . ولكن مثل هذا العمل لا يحل المسألة ولا يرضى الروح العلمية البحاثة التى تصبو إلى تقرير معرفة وتكييف طبيعة هذه المادة التى تمنع حدوث المرض وعلة وجودها فى القشرة الفضية الرقيقة ضمن الطبقة البروتينية التى تكسو حبة الأرز ؛ وقد توصل بعض الباحثين من اليابانيين ، وكذلك البيولوجى فونك الذى سبق ذكره ، وكان أول من وضع لفظ (الفيتامين) — إلى فصل وتحضير مادة من كساء (الطبقة الكاسية) الأرز كفت كميات منها متناهية فى الصغر للقضاء التام على أعراض مرض الالتهاب العصبى الناتج من تناول الأرز الأبيض غذاء أساسياً . وبعدئذ وعند تصنيف وتبويب الفيتامينات أطلق على الجزء الفعال من هذه المادة المحضرة الحرف الهجائى B ولما كان الاسم العلمى للالتهاب العصبى هو Neuritis المأخوذ من الإغريقية Neuron بمعنى أعصاب لقب هذا الفيتامين بالأنتينوريتيك

وتوجد هذه المادة الحيوية فى الأرز الغير المقشور بنسبة جرام واحد فى كل ألف كيلو جرام أو بنسبة جرام ونصف فى كل مائة كيلو جرام من نخالة الأرز (نخالة الأرز هى القشرة الداخلية للأرز التى تنزع عن حبة الأرز وتفصل عنها أثناء تبييضه) وقد استبعد وجود هذه المادة فقط فى قشرة الأرز فدل البحث بعدئذ على وجود الفيتامين B كذلك ضمن الطبقة البروتينية فى الحبوب كالشعير والذرة والقرطم والقمح وفى بذورها كذلك، وقد لا يثير عجبنا غنى بذور تلك الحبوب بهذه المادة ، فالبذرة هى مصدر الحياة، فلا بدع إن حملت كذلك المادة الحيوية اللازمة للبناء والنمو والحفظ، أما فى داخل الثمرة (فى الحبوب) أى النسيج الخلوى النشوى ، حيث المستودع الغذائى للنبت الجديد ، فيندر وجود الفيتامين B أو ينعدم

ولهذه النتيجة أهمية فى حياتنا اليومية ، فتقل إذن أو تكثر نسبة الفيتامين فى الخبز الذى نأكله تبعاً للنسبة المئوية فى طحن الحبوب أى نسبة إنتاج الدقيق من القمح المطحون ، وهذا يعنى كثرة وجود أو قلة النخالة والبذرة فى الدقيق ؛ فكلما قلت نسبة الإنتاج وقل وجود قطيعات النخالة والبذرة فى الدقيق الأبيض الناتج قلت معه نسبة الفيتامينات ؛ أما الدقيق ذو الإنتاج العالى أو الدقيق الكلى الذى يحوى معظم الحبة فنسبة وجود الفيتامين B عالية

وهذا ما أثبتته التجارب الغذائية التي قامت للتدليل على التأثيرات المختلفة للفيتامين في أنواع مختلفة الإنتاج من الدقيق ، وإحدى هذه التجارب قامت على تحضير عدة مجموعات من الفيران أطعمت كل واحدة على حدة نوعاً خاصاً من الغذاء من دقيق القمح والذرة والقرطم والشعير، فكانت أولى الضحايا هي مجموعة الفيران التي كان دقيق القمح من نصيبها ، أما المجموعة المطعمة دقيق الشعير فقد مكثت أربعين يوماً حية رغم صنف غذائها الواحد . أما الفيران التي أكلت من غذاء القرطم الأسود فلم يصبها أي سوء وذلك لاحتواء الدقيق الأسود على كميات وفيرة من الفيتامين

ولم لا يصاب الإنسان إذن بتلك الأعراض القاسية للالتهاب العصبي إذا ما اعتمد في غذائه على الخبز الأبيض لا سيما وقد أكد هذا القول نتائج تجارب قامت حول تغذية الحيوانات ، فالكلاب إذا ما أطعمت بالخبز الأبيض فقط تمرض بالبري بري بعد أربعين يوماً والدجاج بعد عشرين ، أما الفيران فبمضي اثني عشر يوماً .

وفي كل هذه التجارب تلاشت أعراض المرض سريعاً عندما أضيف إلى دقيق القمح نخالة القمح ، وإذا ما لاحظنا أننا قد لا نمرض إذا تناولنا الخبز الأبيض فإن لنا في بقية أصناف الطعام المتممة مصادر أخرى للفيتامين B . إذ نجد تلك المادة الأنتينوريتيكية خلاف الدقيق الأسود العالي الإنتاج في الخميرة بكميات كبيرة وفي الخضروات والفواكه الطازجة وفي الدرنات واللوز والبندق وصفار البيض واللبن والكبد واللحم الطازجة ، ولا يتأثر الفيتامين كثيراً في هذه الأطعمة عند طهيها طهياً عادياً ولا يفقد قدرته الفعالة عند سواد الأطعمة فيُموّن الجسم بكميات كافية من الفيتامين B عند ما نتناول ألواناً مختلفة من الطعام العادي . وهنا تضرب الطبيعة مثلاً غريباً في القناعة ، إذ يكفيها يومياً من ثلاثة أرباع إلى واحد على الألف من الجرام من فيتامين الأنتينوريتيك ضمن الغذاء اليومي للقيام بمهمتها في حفظ كيان الإنسان وصونه من الأمراض .

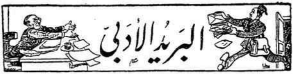
ومن الثابت المحقق الآن أن مجال عمل الفيتامين الأنتينوريتيكي وموضع تأثيره هو عند تحول المواد في الخلية العصبية ، ولذا نرى أنه عند غياب هذه المادة الحيوية تحدث الاضطرابات وأعراض الإصابة في محيط الجهاز العصبي . وزيادة على ذلك يعمل هذا الفيتامين على تنظيم عمل الغدد الدرقية Schilddrusen وأخيراً وبفضل مجهود العالم إميل أبدرهالدن Emil Abderhalden ثبتت أهمية هذا الفيتامين عند تمثيل الكربوهيدرات (المواد النشوية والسكرية) وأثر هذا أنه بغياب هذا الفيتامين تحدث اضطرابات في تحليل الجليكوجين (سكر الكبد) أو في أية مادة سكرية نشوية تبقى في الجسم كاحتياطي من الكربوهيدرات، ونتيجة ذلك ازدياد كميات سكرية نشوية في الكبد وفي عضلات وأنسجة القلب ازدياداً غير عادي، وتأخذ هذه الكميات في الهبوط والنزول عند تموين الجسم ثانياً بالفيتامين B

ومع أن البحث العلمي بذل قديماً جهوداً عظيمة في سبيل التعرف على طبيعة تكوين هذه المواد الحيوية التي تكفي منها كميات ضئيلة لحدوث تأثيرات بيولوجية هامة في جسم الإنسان ، ورغم تعاون الكيمياء مع علم الطب لم تثمر هذه الجهود ولم يتحقق إلا حديثاً بعض الحلم في تحضير الفيتامين B في حالة نقية . إذ توصل الكيميائي فونك الذي تردد ذكره مرات في هذا المقام إلى تحضير بلورات دقيقة من نخالة القمح استخدمت منها أجزاء ضئيلة من الألف من الجرام الواحد في علاج حمام مصاب بالبري بالبري، فكان لها مفعول السحر في شفائه كما حضرت كذلك خلاصة من الخميرة كان لمفعول أربعة أجزاء من الألف من الجرام منها أثر بالغ العجب في إزالة أعراض الالتهاب العصبي في حمام مصاب بالبري بري ، وفي ردهة اجتماع مؤتمر طب المناطق الحارة الذي عُقد في برلين عام ١٩١١ وضع العالم الألماني شاومان Schaumann في حنجرة حمامة كسيحة مريضة بالبري بري - حبيبة من الفيتامين الخام كان من أثرها الشافي أن طارت الحمامة في اليوم التالي في جو ردهة المؤتمر . ولم تتضح درجة نقاء هذه المنتجات المحضرة إلا بالمقارنة . وعند ما توصل العالمان الهولنديان ، يانسن ودونات Jansen, Donath في سنة ١٩٢٦ بعد تحضير مجهد وتنقية تامة لبلورة محضرة من نخالة الأرز حالت كمية منها لا تزيد على عشرة أجزاء من مليون من الجرام دون إصابة حمامة رغم تقديم غذاء البري بري لها ورغم هذه الجهود الجبارة المضنية من يانسن ودونات ، فلم يثبت أن المادة التي استخلصاها ونقياها ذات تركيب كيميائي واحد، ولم يتوصل أحد إلى معرفة الحجر الأساسي لهذا البناء الكبير ، وكذلك الاحتفاظ بسر تركيبه قبل العالمين الألمانيين : أدولف ونداوس ، فريتز لاكور Adolf Windaus & Fritz Laquer ، وذلك

في أواخر عام ١٩٣١ ، إذ تمكنا مع مساعديهما من إزالة الستار عن الفيتامين B وتحضير مادة نقية بلورية من الخميرة يكفي منها جزءان من المليون من الجرام لإظهار أثر حميد في شفاء حمام مصاب بالبري بري . وقد وصلا إلى تحضير كمية هي $\frac{٧٠}{١٠٠٠}$ سبعين على ألف من الجرام من مائة كيلو جرام من الخميرة بينما توصل غيرهم من الباحثين إلى تحضير نصف جرام فقط من ألفي كيلوجرام من الخميرة مع الفارق العظيم في الإنتاج الصناعي ، وللآن لم يذع أي شرح كيميائي تفصيلي لطبيعة هذه المادة

والمعروف عن فيتامين الانتينورتيك فقط أنه يتركب من الكربون والإيدروجين والآزوت والأكسجين ، وأحياناً من الكبريت ، وأنه سهل الذوبان في الكحول والماء ، وأنه يتأثر بالحرارة الطويلة المدى عند درجة ١٢٠° وأنه لا يتأثر عند الإغلاء القصير المدة . ولو قدر يوماً ما الوصول إلى الإحاطة التامة بالتركيب الكيميائي لفيتامين البري بري والإعلان عنه ، فسوف لا يصل العلم إلى هذا الفتح قبل الاصطدام بنواحي وأبواب كثيرة موصدة ، إذ كلما تعمق العلماء في حل لغز الفيتامين B تكشف لهم أنهم ليسوا حيال فيتامين واحد ، بل أمام مجموعة من المواد الحيوية ، بل المعروف الآن أن ما اعتبره الباحثون قديماً فيتامين B ليس إلا مجموعة تكون من خمسة فيتامينات مختلفة على الأقل والتي منها ما تكلمنا عنه في هذا الباب تحت عنوان فيتامين الأنتينورتيك (الفيتامين المضاد للالتهاب العصبي) أو فيتامين البري بري B_1. أما الفيتامينات B_3 ، B_4 ، B_5 فلا يعرف عنها إلا ما استنتج من التجارب الغذائية التي أجريت على الحيوانات وهي معرفة علمية نظرية بعيدة عن الناحية العملية — بينما تأثيرها وصلتها بفسيولوجيا الإنسان لم تعرف بعد . أما الفيتامين B_2 فلصلته القريبة الهامة بالتمثيل عند الإنسان ووجوده في الطبيعة ملازماً للفيتامين B_1 فسنخصص له الكلام في المقال القادم .

عبد اللطيف حسني الشامي



أدهم قال لى

حضرة الأستاذ الجليل رئيس تحرير الرسالة

تضمنت كلمة الأستاذ عبد الغنى حسن دعوة لأصدقاء المغفور له اسماعيل أدهم أن يكتبوا عن مقدار ما وصل إليهم من العلم عن عقيدته . ولقد منعنى أن أكتب عنه أننى كنت أتوعده بأن أكتب عنه . فلما مات منتحراً تحرجت من إنفاذ الوعيد!

على أن الذى قدم الانتحار بكتاب إلى النيابة يطالب فيه تشريح جمجمته لم يفته أن يتحدانى فى يوم انتحاره بمطالبتى أن أكتب عنه بعد موته ، ولم يفته أن يختار للتحدى أقوى وسيلة عرفتها من وسائل الإغراء ، وهى أنه أهدانى كتاب ميخائيل نعيمة عن جبران خليل جبران ، وسألنى عما إذا كنت أستطيع أن أكتب عن صديق لى مثل هذا الكتاب إن مات

أما أنى كنت قد توعدته بالكتابة عنه فلذلك قصة تدل على طريقة تفكيره وعلى مقدار ما عانى من المتاعب التى أفضت إلى الانتحار بسبب هذه الطريقة :

ذلك أننى دخلت منذ أقل من عام إلى مكان اجتماعنا المعتاد فى نادى جماعة الفنون الجميلة ومعى كتاب « هتلر قال لى » ، فدار الحديث بين المجتمعين ، وما فيهم إلا مصور أو مثال أو شاعر أو أديب، عن شخصية هتلر . وانفرد أدهم بالثناء عليه وذم الانجليز والمصريين والمسلمين ، وأسرف فى كل ذلك أشد الإسراف ، فتوعدته إن لم يكف أن أضع كتاباً أجعل عنوانه «أدهم قال لى» وأدون فيه آراء أدهم كما سمعتها منه

سكت أدهم إلى اليوم الذى انتحر فيه . وفى هذا اليوم طلب إلىّ أن أكتب عنه كما قدمت . فهل أكتب ؟

أرجو أن يجيبنى مجيب فإنى حائر ألتمس النصح .

عبد اللطيف النشار

اضطراب فى مقال

حضرة الأستاذ الجليل صاحب الرسالة

بعد التحية ، كتب الأستاذ الدكتور زكى مبارك فى حديثه ذى الشجون بعنوان « إلى المنصورة وطن الشعر والخيال » فى عدد الرسالة رقم ٣٧٨ ما يلى :

« بعد ساعة واحدة من الشروع فى كتابة هـذه السطور آخذ طريقى إلى المنصورة وطن الشعر والخيال ؛ فهل تلقانى المنصورة بالضم والعناق وهى كناس الحور العين ؟ »

واستطرد الدكتور فعرج على بعض ذكرياته إلى أن ذكر الجهود الشاقة التى بذلها أدباء الطليعة فى مصر (الستة أو السبعة كما كتب الأستاذ الزيات منذ ثلاث سنين فى عدد مضى بالرسالة) حتى وصلوا إلى السيطرة الأدبية ، ثم قال :

« وقد رجعت من المنصورة بعافية لأنى لم أبت فيها غير ليلة واحدة ؛ فلم يتسع الوقت لمقابيل الوجد حتى مجرب حظها فى القدرة على تجريح قلب تكسرت فيه النصال على النصال »

ثم استطرد الدكتور فذكر ما اتى بالمنصورة وما فعل . والذى يقرأ هـذا الكلام يرى بعضه يناقض بعضاً إذ كيف يقول الدكتور فى أول المقال إنه سيأخذ طريقه إلى المنصورة بعد ساعة واحدة من الشروع فى كتابة تلك السطور ثم يعود بعد كتابة عمود واحد فيقول إنه رجع من المنصورة بعد أن أمضى بها ليلة واحدة . فالمعنى لا يمكن أن يستقيم إلا على فرض كون الدكتور قد كتب بعض مقاله قبل أن يأخذ طريقه إلى المنصورة ثم عاد فأتمه بعد رجوعه منها أى بعد يوم كامل على الأقل . وبفرض حدوث هذا فهلا كان واجباً أن يشير الدكتور إليه ليمنع اللبس وليستقيم المعنى .

لعل الإسراع فى الكتابة إلى جانب احتمال أن يند بالقلم — كما يقول الدكتور تعليقاً على من أخذ عليه فتح كلمة « سجية » فى بيت الشعر المشار إليه هنالك — يمكن أن يشرد بالذهن مما نود دائماً أن ننزه عنه قلم أديبنا الكبير الدكتور زكى مبارك .

وتفضلوا يا صاحب الرسالة بقبول إجلالى وإكبارى .

(المحلة الكبرى) **محمود أحمد وصيف**

القراءات السبع

حضرة الأستاذ الكبير صاحب الرسالة

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فقد كتب الأستاذ الباحث على الطنطاوى فى العدد ٣٧٩ من الرسالة الغراء (كلمة فى القرآن) جاء فيها :

(واقتصر الناس على الحرف الواحد حتى نشأ النحاة وأهل اللغة والقراء ؛ فوقع بينهم اختلاف يسير فى حركة أو إمالة أو مد أو همز فكان من ذلك القراءات السبع)

وهى عبارة تفهم القارئ أن للنحو واللغة والقراء مدخلا فى اختلاف القراءة . وما أظن الأستاذ — وهو باحث فاضل — يعتقد ذلك أو يميل إليه ؛ فان الحق الذى لا شبهة فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم أقرأ أمته على الأحرف السبعة تخفيفاً وتيسيراً ؛ وأن هذه القراءات المشهورة الآن ـ وإن تكن على الحرف الذى اقتصر عليه عثمان رضى الله عنه حسما لمادة الخلاف ـ مروية عنه صلى الله عليه وسلم بطريق التواتر ، وإنما لم يكتب المصحف العثمانى مشكولا منقوطاً تيسيراً لقراءته على الأوجه التى صح سماعها عن صاحب الوحى قطعاً . ولا غرابة فى أن يكون للحرف الواحد أوجه كثيرة ؛ ومن ذلك ـ مثلا ـ اختلاف الكلمة بين الاسمية والحرفية فى مثل قوله تعالى « فناداها من تحتها » قرئ بكسر « من » وبفتحها . ومن ذلك اختلافها فى حرف المضارعة فى مثل قوله تعالى «وما ربك بغافل عما يعملون» قرىء بالتاء والياء ومن هذا أيضاً اختلاف حركة الاعراب فى نحو قوله جل ثناؤه « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » بنصب كلمة « الأرحام » وجرها .

فلو كتب المصحف الإمام مشكولا منقوطاً لثبتت به قراءة واحدة فقط ، وفيه من الحرج ما فيه . لكن لما كثر الناس ونشأ اللحن خيف على القرآن الكريم أن يلحن فيه ، وأن يقرأ على غير وجهه ، فطلب زياد بن أبيه ـ وكان أميراً على العراق ـ إلى أبى الأسود الدؤلى ، وهو من كبار التابعين المتقنين للقراءة أن يضع للناس علامات تضبط قراءاتهم ففعل ، وكان ذلك مبدأ للشكل ثم النقط

هذا ، وأكبر الظن أن الأستاذ اطلع على تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير ، وعلى الشفا للقاضى عياض ، فوجد فيهما بغيته أو ما يدنو منها . ولعل علماءنا لا يزالون يرون أنه ما ترك الأول للآخر شيئاً ، أو أنهم ينتظرون من الشباب الناهض همة وإقداماً على أنى أؤيد الأستاذ فيما ذهب إليه ، وأسأل الله للعاملين سداداً وتوفيقاً .

هذه عجالة نعد بها سن القلم ، أو نرفع بها سهو الكاتب ، وامل صدر الرسالة الغراء — وهى رسالة العلم والدين والأدب — ينشرح إن شاء الله لتحقيق معنى الحديث الشريف « أنزل القرآن على سبعة أحرف »

طه محمد الساكت
مدرس التفسير والحديث بمعهد القاهرة

أخلاق القرآن

أورد الدكتور عبد الوهاب عزام الآية الكريمة التى ختم بها بحثه فى أخلاق القرآن هكذا : « تلك القرى نقص من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك نطبع على قلوب الكافرين » وقد نطق بها كذلك فى حديثه فى المذياع وصحتها : « ... كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين » الأعراف (١٠١) وأعتقد أنها اختلطت فى ذهنه بالآية الأخرى « فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين » يونس (٧٤)

حسين محمد الأنصارى

سؤال

على قمة جبل قاسيون أثران قديمان على شكل قبتين يُعتقد أنهما شيدتا للرصد ، وقد اختلفت أقوال العلماء فيمن بناهما ، فأرجو ممن عنده علم به أن يخبرنى على صفحات هذه المجلة الغراء وله منى الشكر . (سائل)

تعقيب

سيدى المحترم رئيس تحرير الرسالة

سأل الأستاذ محمود المرسى خميس فى عدد الرسالة ٣٧٦ الصادر بتاريخ ١٦/٩/١٩٤٠ « لمن تعطى الأفضلية فى الاهتداء إلى من اشتركوا فى معنى واحد ؟ » ثم سأل : « أتقول إن المعانى شائعة ولا تجوز الملكية والاختصاص ؟ » وأظن أن هذا السؤال جدير بالبحث من الوجهة الأدبية

فالذى يعرفه كل مطلع على الأدب العربى أن الشعراء يتفقون كثيراً فى المعانى بل وفى بعض الألفاظ فى البيت الواحد ، وقد

تعرض لذلك النقاد ووضعوا للأمر قانوناً عادلاً من قوانين النقد ساروا عليه في كل ما تعرضوا له في هذا الصدد

ذلك القانون هو أن « من استرق شيئاً واسترقه ، فقد استحقه » أي أن الشاعرين بصرف النظر عن أيهما أسبق للمعنى يَفْضُل أحدهما الآخر إذا اشتركا في معنى واحد بجودة الصياغة وحسن السبك واختيار الألفاظ إلى غير ذلك من أصول البلاغة . فقد كان الناس ينشدون بإعجاب بيت الأعشى

وكأس شربت على لذة   وأخرى تداويت منها بها

فلما جاء أبو نواس بعد هذه الرحلة الطويلة من الزمن بين الشاعرين ، وأخذ هذا المعنى بعينه وحسن فيه على قدرتنا وسعه تملكه من زمام البلاغة ثم قال :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء   وداوني بالتي كانت هي الداء

لما قال أبو نواس هذا نسي الناس بيت شاعرهم الأول وحكموا لأبي نواس بفصل الخطاب ، وأصبح هو صاحب المعنى ومبتكره

وعلى ذلك قس كل شاعرين أو أديبين اشتركا في معنى من المعاني

(ا . ب)

(الخرطوم — سودان)

الى علماء النحو في جميع الأقطار

١ — تقول كتب النحو من صغيرها إلى كبيرها : إن مميز العدد من ثلاثة إلى عشرة حقه أن يكون جمعاً ، مثل : سبع ليالٍ ، وثمانية أيام ، وخمسة آلاف ... فما بالنا نقول (وتسكتون على هذا القول) : ثلثمائة ، وخمسمائة ، وتسعمائة ... بإفراد لفظ مائة الذي هو تمييز للعدد ، ولم نقل ثلثمئات ، وخمسمئات و ... كنص القاعدة ، وكما تقولها في الألف ، وما وجه العلة في جمع الألف دون المائة ؟

٢ — وتقولون : إن ألفاظ العدد من ثلاثة إلى عشرة تكون على عكس المعدود في التذكير والتأنيث ، فما قولكم في قوله تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » ؟ حذف التاء من عشرة مع إضافتها إلى الأمثال وواحدها مذكر ! وما تعليل ذلك ؟

٣ — وقلتم إن « لن » حرف وضع للنفي المؤبد « والعياذ بالله » ! فإذا كان ما زعمتم صحيحاً ، فما لي أقرأ في كتاب الله تعالى قوله « فلن أكلم اليوم إنسياً » فأرى كلمة اليوم في الآية جاءت بعد النفي بلن فأفسدت قاعدتكم ، واقتلعتها من أساسها ، ولو كانت (لن) لتأبيد النفي كما وهمتم لما كان هناك موجب لتقييد هذا النفي باليوم ! ...

وكذلك أقرأ قوله تعالى « ولن يتمنوه أبداً » فأراني متحيراً في إيراد لفظ أبداً بعد لن ، ولو صح ما قلتموه من تأبيد النفي بلن لكان لفظ (أبداً) تكراراً لا داعي له ، والأصل عدمه

وحاشا لكلام الله أن يخضع لأحكامكم ! ...

أفتونا فيما جئتم به من علم في كتبكم ، وهاتوا برهانكم إن كنتم صادقين .

مصطفى محمد ابراهيم
مدرس لغة عربية



صفحة من حرب الجبابرة

جيوكندا

للأستاذ محمد محمد مصطفى

السماء يومئذ تمطر شهباً تزلزل الأرض وتفتت الصلب، والمدافع تصم الآذان وتدك البنيان، والقذائف تشعل الجو ناراً ودخاناً. وانقلبت «بورجيا» قرية فرنسا الجميلة إلى حطام يلتهب وأنقاضاً تنفر منها الشياطين، وزخرت الطرق والأزارع بالنازحين منها والدبابات فى أثرهم ترسل عليهم الموت ولا عاصم لهم منها إلا العراء

وانتهت «جيوكندا» إلى ظل من ظلال الغابة، فجلست مكروبة محزونة تنظر من خلال الدمع إلى القرية وقد أضحت يباباً

لقد ماتت أمها كمداً لمصرع وحيدها فى الميدان، وكان أبوها مسبوتاً على فراش المرض فبات تحت الأنقاض

ووقفت تنتفض ذعراً وهى ترى جموعاً مائجة ولججاً هائجة من دبابات الألمان تطوى الأرض وترسل ضوضاء وصفيراً يحطم العصب ويوهن القلب، ومع ذلك فقد كانت مدافع الفرنسيين ترسل عليهم لظى من نار، فلا يقفون ولا يهزمون كأنما قد بسط لهم أديم الأرض

ودنت منها الدبابات متراصة تنفث لهباً وموتاً، وتترك ما وراءها صعيداً جرزاً، فجرت هائمة إلى غير هدف، ولبثت فى عدوها تنظر بين الحين والحين إلى الوراء فترى الدبابات تقترب منها فتواصل العدو، وأضناها السير فسقطت لاهثة وانية ثم غابت عن رشدها

* * *

— أأنت قائد فرقة باصقات اللهب الخامسة والستين؟

— نعم

فحول الجنرال نظره وعبث بشاربه الأشيب وتمتم بصوت خافت:

— ولكنك صغير السن . . .

فأردف القائد الشاب:

— كبير القلب مخلص لألمانيا والزعيم

— حسن . . . ألم يسبق لك الاشتراك فى معارك؟

— كان لى شرف الاشتراك فى حصار «لييج»

— تقضى أوامر الفوهرر بألا تقف دباباتك ولا تتراجع وسيكون هجومك على جبهة تمتد تسعين ميلاً من «بورجيا» دمرتها لك الطائرات وستسوق أمامك ألوف النازحين ليكونوا لك درعاً وليوقعوا الارتباك فى صفوف الحلفاء

والآن ما اسمك أيها القائد؟

— جون فريتش

— إلى العمل يا جون فريتش . . .

* * *

لما اقتربت الدبابات من «جيوكندا» كانت نفس القائد جون فريتش تنازعه إلى إبعادها من طريق الدبابات

... ولما حملها بين يديه أفاقت وابتسمت له ابتسامة لو مات على أثرها لما أسف على نسمة تركته فى الحياة

... ولما سألها عن وجهتها لم تدر بم تجيب

... ولما جلست إلى جانبه بالدبابة ألهاها كثرة ما بها من عدد وآلات

قالت بعد ما أدركت أنها بين ألمان:

— أتسوقون المدنيين هكذا كالنعاج؟

— إنها أوامر الفوهرر ... والحرب لا ترحم

— وتقولون إنكم تنتشلون العالم من ربقة الديمقراطية وتريدون به السلام؟

— لا شك فى ذلك

— فماذا أفاد حكمكم فيما اكتسحتموه من بلاد؟

— قضاء على الرأسمالية وأصحاب الثروات

— وتقولون إنكم تناهضون الشيوعية؟

— ليس فى القضاء على بطالة العمال بلشفة لهم ... فأى عدل ترين يا فتاتى فى رجل يملك الملايين وينام عمال مصانعه على الطوى؟

— ذا نصيبهم فى الدنيا (وجعلنا بعضكم فوق بعض درجات)

— درجات ... وليس ملايين الدرجات فلا يكون البون بين صاحب المصنع وعامله شاسعاً. والعامل الذى أنتج الربح له

قسم فيه وللدولة مثله لتثقف به أولاد ذلك العامل، فليست العبقرية وقفاً على أولاد الأغنياء

— تالله[1] أنتم أعداء لكل ما يحرص عليه المتمدينون من تقدم اجتماعي وحرية بشرية، وما من أمة تبيت اليوم في أمان من ظل الصليب المعقوف. وقهقه القائد حتى بدت نواجذه وقال:

— يا صغيرتي العزيزة. ها أنت ذي ترين جنود الحلفاء يفرون من وجه آلاتنا التي أنتجتها عقولنا، فهل بين علمائكم من يستطيع أن يصنع شيئاً يقفنا ولو لبضع ساعات ... والعقل الذي يذلل العلم لرغباته والأمة التي تخفف الفوارق المادية بين طبقات الشعب فلا يكون فيها فاحش الثراء ولا من يسمو بالفقراء، هي أرفع مدنية من أمة تتخم خزائن أفراد قلائل منها بالذهب ولا يجد العامل الذي أنتجه ما يقتات به كفرنسا أو مصر التي يسخر شعبها بأزهد الأجور لخدمة القلة من الأغنياء والتي دل الإحصاء على أن اثني عشر ألفاً منها يملكون نصف الثروة العقارية للبلاد مما لا أعرف له مثيلاً في بلاد أخرى

وعملت هذه الكلمات في نفس الفتاة عملها، وذكرت أولئك الغارقين في لذائذ الدنيا من أثرياء قومها، وما لقيته من شظف العيش في قريتها فأطرقت وأغرقت في صمت طويل، حتى إذا ما شارف سيل الدبابات على «باريس» كانت قد طوت نفسها على أمر.

***

(يبدي الفوهرر خالص ثنائه على المعاونة القيمة التي قدمتها الجاسوسة س ١٠٧ في الميدان الفرنسي)

وافتر ثغر س ١٠٧ وهي تقرأ الرسالة الشفوية وملكها الزهو فأعادت قراءتها ثم سلطت عليها زفيراً من فمها تلاشت على أثره السطور وألقتها مزقاً في الطريق

وأخذت سمتها شطر محطة «بوردو»، تلك المدينة التي كانت مسرحاً لعملها الشاق، وذكرت ذلك الحان الذي قضت فيه الوقت كله بين جواسيس الحلفاء تبيع لهم الخمور وتستدر الأسرار من الصدور، وسمعت صوت أقدام تتبعها فالتفتت في ذعر فلمحت شبحاً يقترب منها ويهمس في أذنها:

— أأنت س ١٠٧

فلما سمعت صوته هتفت:

— ميجر براون ... لم جئت؟

— برسالة يا جيوكندا ... وناولها إياها

فهتفت نفسها:

— ترى أتكون من جون؟

... «تقوم فجر اليوم س ١٠٧ إلى مدينة إيفيل وترحل مع المهاجرات إلى دوفر لتتلقى الأوامر من ل ١٤ الذي سيستقبلها بربطة عنق زرقاء»

وألقت على الورقة زفيرها فابيضت ورمت بها إلى الطريق

***

قال «ل ١٤»:

— شاء الفوهرر أن يترك قليلاً من قوات الحلفاء التي رحلت عن «دنكرك» لتصف الأهوال التي أذاقها لهم الألمان، فيكونوا لألمانيا خير دعاة، فعليك تصويرهم في أعمالهم لدى نزولهم من البواخر لتزين بها المنشورات الألمانية التي تلقيها الطائرات على انجلترا .. والساحل الإنجليزي يا ...

فأشارت إليه بالسكوت فهمس:

أقول إن الساحل الإنجليزي حاجز من الجحيم ضد القوات التي تحاول اختراقه فعليك مراعاة الدقة في تنفيذ هذه التعليمات ومد لها يده بورقة

وأبدت «جيوكندا» من الحذق والمهارة في الحصول على صور الحصون وأوكار المدافع وحركات الجنود والقوافل البحرية ما ألهج ألسن الجستابو بالثناء

وجد قلم المخابرات البريطاني في تعقب الجاسوسة س ١٠٧ وضاق بحيلها ذرعاً، فهي آناً مهاجرة حليفة، وآناً ممرضة تندس بين الجنود، أومتطوعة توزع الحلوى في المعسكرات والمستشفيات وما لأها الحظ فكان يكلل مجهودها بالنجاح

وطلعت عليها الصحف بنبأ الهدنة، وأخذ المارشال بيتان ينظم ألمانيا الاشتراكية، فخمدت فيها جذوة النشاط

لقد أدركت غايتها وأصيب الهدف الذي كانت تسعى إليه

ولكنها تعلم أن الجاسوس لا يمكنه التخلي عن عمله لأي حال كان ...

وفرت جيوكندا على باخرة تعيد اللاجئين إلى فرنسا

واستقبلها الجستابو على رصيف ميناء «كاليه»، وأبلغها الأسف الشديد لصدور الحكم بإعدامها

(١) نشرة الدعاية البريطانية

وشدهت جيوكندا وفرقت وهتفت بصوت خائر :

— ألا يشفع لى ما قدمت يداى لألمانيا من خدمات ؟

* * *

سقطت «باريس» تحت أقدام الألمان تخيم على مدينة النور الظلام ...

وأخذ حذاء القائد «فريتش» يدب فى رفق على إفريز «السين» ولم تزل صورة «جيوكندا» تمر فى فكره وتتسلل إلى قلبه فتثير فيه الألم والشجون ، ومرت بخاطره خيبته فى إقناعها بالعدول عن الالتحاق بالطابور الخامس وإصرارها فى عناد وقولها له فى حزم :

— فلن أهدأ حتى تتحطم الرأسمالية فى فرنسا وأرى بعينى فيها نظم الريخ

وتصور أنها الآن تضرب فى أرض الدنيا لا تكاد تستقر فى بلد حتى يأمرها الجستابو بالانتقال إلى آخر

وملكته رغبة ملحة فى رؤيتها والوقوف على حالها

ربما اعتقلت ... ومن يدرى لعلها أعدمت بالرصاص، وأفزعه هذا الخاطر فخفق قلبه الملتاع وتهالك على مقعد قريب وقد تولاه طائف من الوجد والذهول ...

ووثبت صورة جيوكندا أمام ناظره تتهادى على صفحة السين الساكن ترنو إليه بعينين تحكى خضرة البحر، وشعرها الذهبى المفهاف يداعبه النسيم

وبدا له أن الجاسوسية أنهكتها ، وأن شبح الإعدام أرهف أعصابها ، ورآها بعين الخيال تهرع إليه وتسرد عليه ما خاضته من أهوال ، وهو مع ذلك لاه عن حديثها بضمها وشمها ولثم ثغرها المعطرى كأنفاس الياسمين

ودبت خيوط الفجر فى لحمة الليل فهب القائد من حلمه الجميل يمشى خفق الفؤاد مبلبل الفكر ، وحينما مر بجريدة «بارى سوار» التى اتخذت مركزاً للجستابو ، طرأ عليه أن يسأل عنها صديقه الميجر «براون» ، فعلم أنه أوصل لها رسالة سرية فى بوردو وأنه رآها تركب عربة . ثم أردف : وأحسب أننى سمعتها تقول للسائق إلى «إيفيل»

وبذل الميجر لصديقه معاونة صادقة حتى علم أنها فى دوفر ولكن دوفر واسعة ، ووصول الألمانى إليها مستحيل

... وأخذ القائد يفكر ويفكر ...

وانتشله من أفكاره صوت طرق الباب ودخل ضابطه المساعد وبيده الثبت اليومى لمن طلبت القيادة والجستابو إعدامهم بالرصاص، فألقى عليه نظرة عجلى ، ولما أراد التوقيع عليه علق نظره باسم جيوكندا ، فازدلفت تحت ناظره الأرض وانتفض قلبه فى صدره كطائر مذبوح

وكذب عينيه وقام ينهب الأرض إلى ميدان الإعدام

وألفى فاتنته الموموقة معصوبة العين بين طابور المحكوم عليهم تقف مهيضة النفس كاسفة البال

يا لها من لحظة هائلة ... لقد آن موعد إعدامها ... وأى محاولة لإنقاذها تفقده شرفه وحياته ... فكيف السبيل ؟

وشحب لونه شحوباً هائلاً وغلى رأسه كالمرجل واصطرعت فيه أفكار سود

اقترب القائد من جيوكندا وهمس فى أذنها كلمات

وأمر الضابط أن يقف الإعدام لحظة ينهى فيها أمراً عاجلاً ويعود . وعاد بعد دقائق

قال القائد فريتش لضابط الإعدام :

— أمتأكد أنت من حشو بنادق الجنود ؟

— كل التأكد يا سيدى ... وتفضل بالتفتيش

ومر القائد على الجنود . وفتش بنادقهم واحداً واحداً ليتأكد من حشو جميع البنادق . وسقطت من يد القائد رصاصة أحد الجنود فانحنى الجندى لأخذها ، ولكن القائد كان أسرع منه فى التقاطها ووضعها بيده فى بندقية الجندى ...

وأشار القائد ... فدوى الرصاص

* * *

— ولكن المعجزة يا جون ... كيف تمت

— كان جنوناً أن أراك تعدمين يا جيوكندا ولا أفعل شيئاً فهمست لك أن تهاوى لدى إطلاق الرصاص وأتيت بطلقة فشنك[1] وحشوت بها بندقية الجندى المكلف بإعدامك بدل التى تعمدت إسقاطها عند التفتيش على بنادق الجنود

قطبت جيوكندا قبلة طويلة على ثغر جون فريتش .

محمد محمد مصطفى
بإدارة مدرسة البوليس

(١) نوع من الرصاص ينفجر ولا يحدث ضرراً .

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى — عابدين }